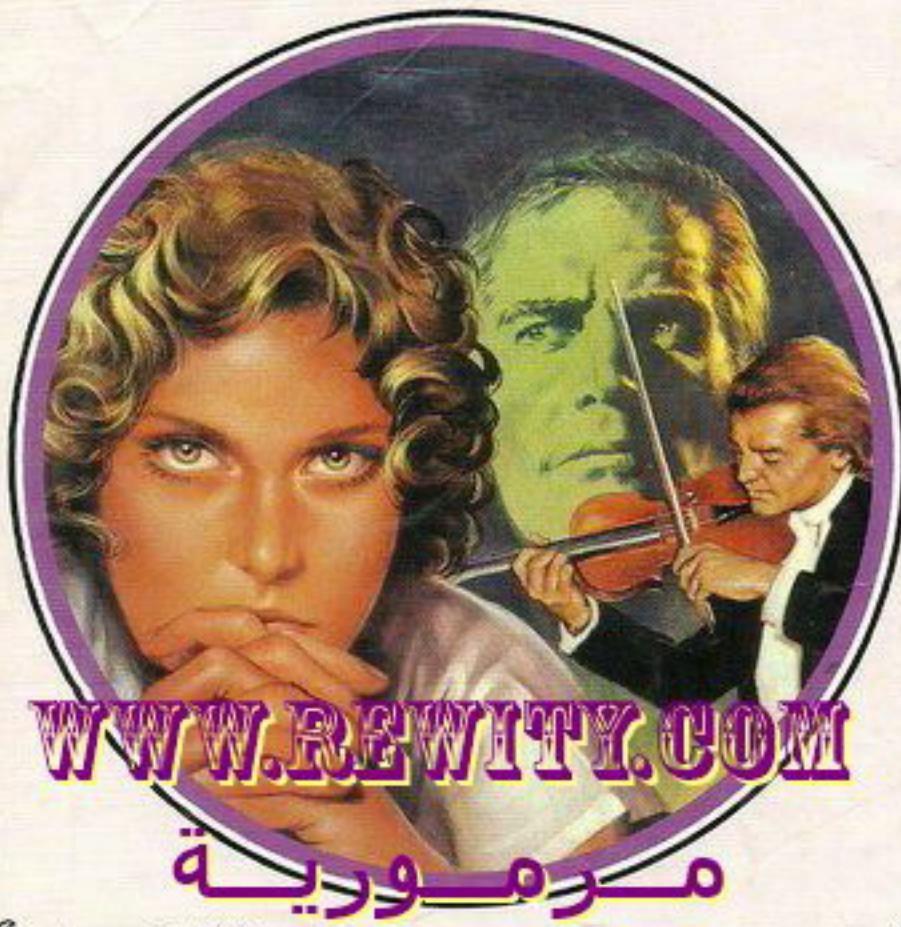


روايات عبير



حفل الامبراطور



Anne RASS

N° 637

روايات عبير



الجميلة صوفي،

أرملة أحد الأثرياء تحب فيليب دي جينساك وهو
شاب وسيم ينتمي لجماعة ثورية،
هرب من البلاد منذ سنتين ولكن هذا الشاب فضل عليها لوسي
النقية، تلك الفتاة الشابة التي تقاسمها حبها.
هل سيهرب فيليب أمام مؤامرات ضابط الشرطة عدوه
اللدود؟ لقد كان لزاماً على لوسي أن تواجه قدرها
وتتبعه حتى النهاية

ثمن النسخة



لبنان	٢٥٠٠	ل. ٢٥٠٠
سوريا	٧٥	ل. ٧٥
الأردن	١ دينار	١ دينار
السعودية	٨ ريال	٨ ريال
الكريت	٧٥٠ فلس	٧٥٠ فلس
الإمارات	٨ دراهم	٨ دراهم
البحرين	٧٥٠ فلس	٧٥٠ فلس
U.K.	2£	2£

الشخصيات

- الكونت "فيليپ دي جينساك": مناضل ينتمي إلى طبقة النبلاء، وفي نفس الوقت إلى جماعة "الكاربونري" التي تدعوا إلى العدالة الاجتماعية.
- السيد "دي مورانبي": مساعد مدير الشرطة. والعدو اللدود للكونت "دي جينساك".
- "لوسي دي سان سيلفستر": فتاة جميلة وأرستقراطية تحب الكونت "دي جينساك".
- "صوفيا دالبان": أرملة جميلة وثرة.

الفصل الأول

اقترفت "لوسي" من نافذة صالونها الصغير وهي ترتدى معطفاً من الحرير الوردي انتقاء البرد.

في هذا الصباح أيضاً تهطل الأمطار على "باريس". فوق أسقف المنازل لطخت السماء بالدخان الأسود. كم يبدو الفصل حزيناً وكثيراً على الرغم من ذلك كان قلبها ممتلئاً بسعادة خفية.

"الم تحلم هذه الليلة حلماً ساحراً؟ وهي تصدق الأحلام، "فيليب" فيليب الجميل": سيعود لقد رأت نفسها حالة من شدة العاطفة بين ذراعيه. كان يحبها بحرارة لم يحب بها امرأة أخرى. إذن فـ"لوسي" متاكدة من أن الأحلام لا تخطئ.

منذ سنتين لا تفكرا إلا فيه، في الحفلات البراقة التي ترأسها الإمبراطورة "أوجيني": لم يستطع أي من الفرسان الذين يحيطون بـ"لوسي"، الجميلة، الشريعة، الفاتنة أن يجعل قلبها يدق بشدة. ولا اسم من الأسماء الكبرى في "فرنسا" استطاع أن يمحو ذكرى الكونت "فيليب دي جينساك". لكن هل يحبها؟ مظهره الشارد، ابتسامته الغامضة وحتى وقاحتة، تشير أحلام كل جميلات الإمبراطورية الثانية. كانت "لوسي" متاكدة من أن له العديد من العشيقات وأن إحداهن الفاتنة "صوفيا" التي تستطيع أن تكون غريرة صعبة بالنسبة لها. أغلقت "لوسي" عينيها، إنها لا تستطيع أن تقبل هذا التقسيم. ستكون الزوجة الشرعية لـ"فيليب". سترى كيف تجعله يحبها. منذ وقت طويل تنتظر عودته التي لا يمكن أن تتأخر عن ذلك.

مغلقة عينيها، ساندة جبهتها إلى زجاج النافذة البارد تابعت - وهي مستيقظة - الحلم الرائع الذي بدأ في الليل.



إن الحرية طريق طويل يسلكه الإنسان ولا يجب أن يتوقف أبداً. كانت أفكار الكونت تدور حول هذا المبدأ. كان حبه لـ"لوسي" لا ينقص من حماسه للحرية شيئاً؛ لذلك ازداد حب "لوسي" له وأصبحا روحًا واحدة لا يخافان المستقبل بل يجدان كل السعادة فيه.

الساعات الأولى من الصباح، والعاقلات يعدن إلى منازلهن بعد رقصتين من الفالس.

في مكان ما دقت الساعة الحادية عشرة والنصف قبل منتصف الليل.

خرج وصيف من الباب الجانبي ببحث عن عربة قريبة. على الفور تحركت العربة إلى الباب الرئيسي.

ظهر خيال شاحب على الأرض اللامعة بفعل الرطوبة. بين طيات الفستان الدانتيل الذي يغطيه كاب من النافثات الزرقاء استطاع بعض الفضوليين أن يميزوا فتاة جميلة ذات خصلات شقراء تربطها بشرط من الورد.

صدرت بعض صيحات الإعجاب لتحية هذه الخلقة الجميلة التي اندست في العربة الكوبية.

قالت المرأة الجميلة:

ـ إلى بون نيف¹

بينما سلكت العربة الطريق، خرج رجل من دار الأوبرا وأخذ يجري في الليل بطول الرصيف. ومصابيح شارع دي ريشليوـ بلعبة الظل والضوءـ تظهر وتختفي هذا الخيال المتحرك الذي يتبع العربة الكوبية. ولكنه كان قد تقدم على الرغم من سرعة العربة.

في هذه الأثناء، بالقرب من "اللوفر" تسببت بعض العربات الخارجية من شارع زيفوليـ والمتوجهة إلى "هالـ في أن تبطئ العربة من سرعتها التي توقفت بعد قليل لتسمح للموكب بالمرور.

ريح خفيفة جعلت شعلة المصايبع ترتعشـ كانها تهدد في كل ثانية بإن تطفئهاـ ولكن على الرغم من صمود الشعلة إلا أن الضوء المنبعث منها يكاد يكون غير موجودـ عم الظلام في هذا المفترقـ كانه قاع بترـ أخيراً مرت العرباتـ وانطلقت العربة الكوبية من جديد لتنابع سيرهاـ عندما وصلت إلى "بون نيفـ جذب السائق العناد ثم سال الراكبةـ

ـ إلى أين يجحب أن أقودك يا سيدتي؟

في هذه الليلة من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٦٨ م تدافع التسكون حول الأوبرا على الرغم من انتشار الضباب وتشكيه لهالات حول مصابيح الغاز.

ولكن كان الحشد صبوراً، صبوراً بشكل غريبـ الم يعلم عن مجيء الحكمـ رؤبة (أوجينيـ) تنزين بكل مجوهراتها وترتدي الساتان وترـ كانها ملكة بين كوكبة من حرامها الشخصيين الذين يرتدون الزي الأزرقـ كان هذا المشهد يستحق ساعة من الانتظارـ

السكان القلائل في "باريسـ" الذين لا يأكلون دائماً عندما يشعرون بالجوع يتغذون على الروائحـ والإمبراطورةـ جميلةـ أسطورية فاتنة تجسد نوعاً من القصص الخياليةـ

في الانوار المتقطعة تحدث فجأة حركة ماـ صوت خطوات الخيول يرن في الليلـ

صاحب أحدهمـ

ـ هـا هـمـ!

اصطف الجميع على جانبي المدخلـ سيطر القائمون على الأمان بصعوبة على الجمهورـ لكنـ كانت الخيول والسيارات بالفعل أمام الأوبراـ

لقد جاءت الإمبراطورة بمفردهاـ الإمبراطور مشغول بأمور الدولةـ سيلحق بها آ杰لاـ

خرجت من عريتها يتبعها وصيفانـ ترتدي فستانـ وردية مرصعاً بالألماسـ كانها أميرة من أميرات الف ليلة وليلةـ بإشارة ملكية توقفت عند العتبةـ ابتسامتها المتعالية وصلت إلى الجمهورـ كانها شكر فاثارت الأفواهـ التي صرخت في جنونـ

ـ تعيش الإمبراطورةـ تعيش الإمبراطورةـ
نسجت هذه الكلمات حولها نياшин الحب والإعجابـ أغلقت أبواب الأوبرا على هذا المشهدـ عندئذ انقضت الجموع شيئاً فشيئاًـ بقي فقط بعض الشبان يقفون في الضباب ليشاهدوا المغادرات سراًـ الأوبرا الواحدة تلو الأخرىـ ذلك لأن الحفل الراقص لا ينتهي إلا مع

في مكتبه الكبير كان مدير الشرطة يروح ويجيء في الساحة التي توسطت النافذة والمدخلة. وجهه عابسة، عندما دخل "جوليوب" قال له:

- يجب أن تعرف قبل هذا المساء من هذه المرأة لقد قرأت التقرير لكن هل تعرف من أين فستانها؟ هل تعرف وصفه؟
ـ إنه فستان تواليت غال وأنيق جداً فستان أبيض ومزين بالورود له شريط أزرق.

شجب السيد "موراني" على الفور.

- تقول فستانها أبيض ورداً وشريطها أزرق؟

أغلق مدير الشرطة عينيه، كأنه يرى الفستان أمامه، كأنه رأه ليلة أمس في الأوراق ليس الفستان ما يذكره ولكن الوجه الجميل الذي كان يلبسه.

تمتم كأنه يحدث نفسه:

- لا، لا، مستحيل لا يمكن أن تكون "لوسي".
اعتقد أن قلبه سيتوقف. لكن استجمعت كل قوته وانتصب فجاة؛
سيذهب بنفسه ليمرر الفتيلة ليتعرف عليها ويأخذ بشارها،
قال:

- سيارتي بسرعة!

وهو ينزل السلالم الحجرى فكر في الاحداث الغامضة التي حدثت في العاصمة منذ ستة أسابيع منذ عودة الكونت "جينساك" إلى "فرنسا".
أمر السائق وهو يقفل الباب.

- إلى المشرحة.

بينما انطلقت العربة كان يعود بذاكرته إلى أوائل شهر تشرين الأول (أكتوبر)، عندما ولأول مرة، بفضل "صوفى دالبان" تتبع أحد رجاله اثر "لوسي" دي سان سيلفستر.

لكنها لم تجده. ربما لم تسمعه، أعاد السائق سؤاله دون فائدة هل نامت الراكبة الجميلة؟ دفع بالحصان إلى زاوية الشارع المضاء، صاح بصوت أعلى:

- سيدتي؟

أخيراً نزل من مقعده، وفتح باب العربية، كانت الراكبة تجلس في الركن الأيمن من الكبينة وعيونها مفتوحةتان تماماً، ومشتبتان بشكل غريب جعل الرجل يشعر بالقشعريرة. ليرى بشكل أفضل مال نحوها لكن وجد على الفور: بقعة كبيرة حمراء ممتدة على الثوب الأبيض عند مستوى القلب. سكين مغروس في الصدر مباشرة. صاح السائق صيحة مختنقة. المجهولة الجميلة قد ماتت ماتت مقتولة!

في اليوم التالي، تحدثت الصحف عن مجهولة "يون نيف" من هي؟ سالت الشرطة دون جدوى. رد "جيروم ماتبوا" أكثر من مرة نفس الرواية.
قال:

- على ما أعتقد أن أحدهم طعنتها عندما توقفت لاترك موكب عربات يمر، العجلات الحديد كانت محدثة صخباً عالياً مما معنني من سماع صرختها.

كان هذا أيضاً رأي الضابط الذي قاد التحقيق.
وهو يدعى "إدموند جوليوب".

قال أحد زملائه وهو يدخل المكتب الصغير الذي يتم فيه استجواب الشاهد.

- "جوليوب"! السيد "موراني" يدعوك لامر عاجل.
شجب الشرطي قليلاً. ذلك لأن استدعاءه لدى السيد "موراني" قد يعني العديد من الأشياء. عقاباً شديداً أو ترقياً كبيراً، أسرع "إدموند جوليوب".

الفصل الثاني

في هذا المساء، في شقة العزوبية التي استأجرها في ١٩ شارع نوتردام دي لوريرت ، تحقق السيد "دي موراني" في عصبية من كل الديكور الذي يحيط به.

رب الورد الذي أحضره خادمه "إرنست" منذ قليل، في الفازة، وتحقق من زجاجة الشراب والكوبين الكريستال الموضوعة على شريط، ووضع قطعة حطب في المدفأة؛ لأن في بداية الخريف كانت الليل باردة، رجع إلى النافذة والقى نظرة إلى الآثار الابتوسي المزينة باللون البرونزي للذهب، وإلى المرأة التي تعكس صورته. رجل جميل تبدو عليه الحيوية، عيناه سوداوان.

بعد أن طاف بالحجرة، توقف ببصره على الاريكة المفرود عليها غطاء هندي. إنه يتخيل اللحظة التي ستتمدد فيها على هذه الاريكة.

لكن لم تأخرت! ماذا لو لم تأت؟ عندما يفكر في ذلك يشعر "موراني" بغصة في حلقه وأخرج من جيبه في عصبية ساعته الذهبية، ذلك لأنه قد أوقف ساعة الحائط المعلقة أعلى المدفأة، لا يجب أن تذكر عقارب الساعة الزائرة بمروor الوقت.

الساعة الخامسة ازداد قلقه: تلك التي ينتظرها ليست قادمة بمشيئةها. هناك نوع من الابتزاز في أصل هذا اللقاء إنه الوعد بأن يعيد إلى "صوفي" بعض الخطابات التي تسيء إلى سمعة زوجها الشوفى، الذي اغتنى بطريقة مثيرة للفضيحة من خلال المضاربة على الأرضي.

عندما فكر في ذلك شعر بالشقة، إنها لا تستطيع الاختضر. تخيل قوامها المشوق وجهها الساحر، لم يشعر السيد "دي موراني" أبداً بالرغبة في سيدة مثلما يشعر تجاهها. بين الجميلات الكثيرات اللاتي احتواهن في أحضانه لم تشر إحداهم مثلما تشير هذه السيدة من رغبة! ولكن عندما يفكر في الآنسة "سان سيلفستر" فإنه لا يفكر سوى في الزواج. مع "لوسي" لم يكن ليحصل فقط على أجمل الزوجات ولكن كان هذا الارتباط سيفتح له أكبر

الصالونات الاكثر انفلاماً في "باريس".

"صوفي" "لوسي" اسمان يحب الهمس بهما. مع الاولى، انوثتها الطاغية تأسره، أما الثانية، فقلبه يشعر تجاهها بعاطفة لم يشعر بها تجاه اي امرأة أخرى.

انتفض عندما سمع صوت توقف عربة عند بابه. أسرع إلى النافذة ورفع طرف الستارة. إنها هي وقد وضعت طرحة تغطي وجهها الجميل. ليس هناك شك في أنها هي.

صرف خادمه؛ لأن السيدة "البان" طلبت السرية الكاملة، بدون أن ينتظر غير السيد "دي موراني" الردهة وفتح الباب. دخلت السيدة في الردهة المظلمة وسط حفيظ فستانها.

- من هنا يا عزيزتي من هنا

تقدمت السيدة بضع خطوات متعددة، بلمحات عين رأت الورد، الشراب، والايركة إذ أرادت أن تبني بعض التصورات عن الموعد الذي أعطاها لها السيد "دي موراني".

تخلصي من هذا الشال ومن كل ما يحجبك.

- ليست لدى النية في البقاء.

- لكنني أرغب في أن أبقيك.

كان في صوته أمر، وبغض الخد، لع في عينيه بريق متوجه. ارتعشت "صوفي" قليلاً فهي تشعر بمزاج من الخوف والفضول.

قالت في حزم:

- جئت لأخذ الخطاب ذلك الخطاب الذي وقعه المرحوم السيد "البان" بعدم حرص.

- ساعطيه لك حالاً. لتحدثت قليلاً اجلسي هنا بالقرب من المدفأة.

كانت تعرف أن هذا الشيطان لن يرد لها الورقة التي تحمي تعرض الثروة - التي اكتسبها زوجها - لفضيحة محتملة دون أن يحصل على المقابل.

لذلك لم ت تعرض عندما حاول السيد "دي موراني" مرة أخرى رفع

شالها.

وعندما تثبتت أصابعها برقبته شعر الرجل بفخر كبير.
ساد الليل الصالون تماماً. لم يضنه سوى جمر المدفأة ونارها الحمراء
في ركن الحجرة. ما زالت ممددة على الأريكة. مخدراً من النشرة،
تشعر ببعض الخجل، تمالكت "صوفي" نفسها شيئاً فشيئاً أصلحت
شالها على كتفيها.

همسَتْ:

- الوقت متاخر.

- أبقي

في شيء من السيطرة أمسك عشيقها بكتفها. رجعت إلى الوراء.
هذا التسلك لا يعجبها. مثل كل الرجال يتصور "موراني" أنه قد
تملكها؟ بصوت حازم أرادت أن توضح الأمور.

- إني أحب الحب للحب

- تقصددين، إنك لم تقبليني إلا من أجل النشرة التي ساحقها
لكل.

- تماماً.

في الحجرة المظلمة أصبحا من جديد خصمين.
ابعدت في غرفة مجاورة لتصلح من هندامها.
اقرب "موراني" من المدفأة ونظر إلى السنة النار الراقصة. شعر
بالإهانة التي وجهتها إليه الأرملة الحسناء بعمق. هذه المرأة التي كانت
منذ قليل مخدراً بين ذراعيه لا تقدره حق تقديره. لن يرد إليها خطاب
زوجها كما كان ينوى.

طالما يملك هذه الورقة سيستطيع أن يعذبها وينتقم منها كما
يسأله.

اتخذ هذا القرار وهو يضيء شمع المصباح في هدوء. في هذه
اللحظة ظهرت "صوفي" بعتبة الغرفة.

وقالت:

- هل تريد مساعدتي في قفل الفستان؟
لقد استعادت لهجتها الودود لتطلب منه هذه الخدمة بعد أن تبيّنت

إنها الآن تجلس على الأريكة وقد يدها النار المدفأة، يقف خلفها
السيد "دي موراني". يتأمل هذا الحصر الفاتح تحت الفستان الحريري.
مال نحو كتفها ولمس شفتها في رفق خدها الخملي، انعقد فم
"صوفي" الممتلى. هل ت يريد تجنب هذه القبلة أم على العكس تنتظرها؟
لم يطرح الرجل على نفسه هذا السؤال. إنه يعرف أن في الحب
بعض الترددات تكون نذيراً بالفشل.

طوق خصرها المرن بذراعه.

قالَتْ:

- دعني ماذا أصابك؟

قاومته وحاولت أن تحرر نفسها من قبضته ولكن للسيد "موراني"
قبضة شرطي قوية ولم تستطع "صوفي" التخلص منه.
- أنت مجنون.

- على الرغم من أنها كلمة مستهلكة إلا أنني ماستخدمها، إني
معجب بك بشدة. "صوفي"
فاجهها بقبلة الزمتها الصمت.

ولكن إذا كان "موراني" عنيفاً فإنه يعرف الأسلوب الذي يتبعه
مع عشيقاته. ضعفت مقاومة الأرمدة الحسناء، وتلاشت اعراضها
في تنهدات أغلقت عينيها لستدعى صورة "فيليب دي جينساك"
الحبيب الذي لم تستطع أن تنسى حبه والذي هجرها منذ ستين
ليطوف حول العالم.

عندما نقلها السيد "دي موراني" إلى الأريكة، تذكرت "صوفي".
حركة المركب الذي حملهما في بحر الجنوب. بقليل من التخييل
استطاعت أن تعتقد أنها تسبح إلى "سيتير" مع الرجل الذي على الرغم
من بعده ما زالت تحبه. عندما خلصتها يده الخبريرة من فستانها.
خلطت الماضي بالحاضر.

نظر السيد "دي موراني" إلى هذا الوجه الجميل وهو لا يشك لحظة
واحدة في أن هذه الطاعة ترجع لمهارته في اختراق قلوب السيدات.

اقترن من السيد "دي موراني" محاولة مرة أخرى جذب الرجل نحوها ولكن لم تكن في رأسه سوى فكرة واحدة:
الكونت "دي جينساك" سيعود إلى "باريس".
يجب أن يعثر على الدليل الذي يثبت تورطه مع جماعة "الكاربوناري" وبذلك تكون له وحده "لوسي دي سان سيلفستر" عندئذ فكر في أن يصيب خصمه من خلال "صوفي".

سوء تصرفها، فقد قرأت أفكار "موراني".
لكن قد فات الأوان لن ينخدع هذا الشيطان بابتسمتها الخلوة.
على الرغم من ذلك، بمهارة وسرعة حقق رغبتها. لقد اعتاد طلبات عشيقاته مما أكسبه مهارة تضليل مهارات الوصيفات. كانت السيدة "دالبان" سعيدة جداً، لذلك ضحكت في دلال. أرادت التأثير على الشرطي الماكر ولكنه يشعر بهذه الفخ ويأخذ حذره.
قالت متظاهرة باللامبالاة.

- هل تعبد لي خطاب السيد "دالبان"؟

- سأحضره لك لأنه ليس هنا ولكنه في متزلي في الخزانة في ضوء الشموع المهازم تسررت ملامح السيدة الشابة.

- لا تزيد أن ترده لي؟ في هذه الحالة يجب أن تأخذ حذرك لأن سيعود إلى "فرنسا" رجل سيعرف جيداً كيف يجبرك على إعادته لي.
رأيتها وجه "موراني" المتجمد. عندئذ حرصت على أن تحدد له:
- الكونت "فيليب دي جينساك".

انتفض رغماً عنه:
- "جينساك"؟

- هو نفسه سيكون هنا قبل نهاية الشهر.
قطب "موراني" حاجبيه. هذا الرجل الشري المفعوم بالجاذبية الذي اضطر لمعادرة "فرنسا"؛ لأن صديق لجمعية ساسية محظورة "الكاربوناري" وسيتوارد إذن في طريقه؟ ألم يقل إن الآنسة سيلفستر كانت مأخوذة به وإن زواجهما لن يدهش أحداً: وهو السيد "دي موراني" يعرف، وما للعجب في أن غريم البعيد سيعود، ولكنه أيضاً عشيق الجميلة "صوفي".
إن له إذن سببين لكراسيته.

دهشت "صوفي" لصمته واعتقدت أنها أثرت عليه.

- أترى أنه من الأفضل أن نتفاهم؟

علقت جملتها ثم أضافت همساً:

- أنت بعيد عن الأتروق لي.

الفصل الثالث

تحمل الشوارع أسماء غير معروفة: المنازل التي تصطف على جوانب الشوارع تبدو كأنها لم تعرف الشباب أبداً. استمرت "لوسي" وتابعتها في اختراق الطريق في مشقة بين الشياطين - والعربات التي تجر باليد المزدحمة في شارع "فينيس" - متجنبين بقدر المستطاع الاحتكاك بالمارأة.

سارت الآنسة "سان سيلفستر" تنظر إلى المنازل باحثة بعيتها عن رقم المنزل الذي همس لها به إحدى صديقاتها الأكبر سنًا. أطلق أحد المارة صيحة إعجاب عندما رأى السيدتين. زاد قلق "ماري أنجيل" أكثر وأكثر.

قالت:

- آنسة "لوسي" ماذا سيظن والدك إذا رأياك في مثل هذا المكان؟
- أصمتني بما أتيت متوافطة معى، وتابعتي.
حدثتها باللهجة آمرة. زفرت رفيقتها من جديد وتابعتها ولكن بعد عشر خطوات توقفت الآنسة "سان سيلفستر".
لقد اكتشفت مدخلاً منخفضاً وقدراً مطابقاً للوصف الذي وصف لها.

- إنه هنا، تعالى يا "ماري أنجيل".
دخلت السيدتان الردهة المظلمة الرطبة المؤدية إلى سلم بدون ضوء به رائحة المطبخ.

همست "ماري أنجيل":

- يا إلهي! يا إلهي!
- أرجوك لا تناوهي بدون توقف.
في الطابق الثالث وجدت باباً ثم جذبت قبضته بقوة. فتح الباب، سمعت صوتاً يقول:
- ماذا هنالك؟
- السيدة "مانو" من فضلك؟
- ماذا تريدين منها؟
- أريد استشارتها.

في المنطقة التي تجمع بين أطلال حي "سان جاك لا بوشميري" و"سانت ميري" حيث تختلط الطرق الفضفحة تسللت أشعة الشمس شيئاً فشيئاً في هذه الشوارع التي تسودها الرطوبة والتي عرفت بسوء السمعة.

سلكت سيدتان شارع "فينيس" الضيق وقد ارتدتا ملابس ثقيلة لتجنب رطوبة الخريف. أناقتهما الواضحة تناقضت مع الجوائط السوداء.

الأكثر جمالاً كانت شقراء ملامحها دقيقة تضع قلنوسة من القطيفة مزينة بالفراء وترتدي معطفاً يغليزياً من الصوف الاسكتلندي، وتضع على كتفيها واحداً من تلك الإيشارات المنتشرة منذ حملة المكسيك. السيدة الأخرى أقصر وملامحها أقل جمالاً، تضع قبعة بها ورد وريش على شعرها الأسود، ترتدي معطفاً فاتحاً. الاثنتان تستخدمان فروة البددين التي تقوم بثلاثة أدوار. حقيبة يد، باعث على الثقة، باعث على الدفء.

الأصغر سنا هي "لوسي دي سان سيلفستر" ووصيفتها الآنسة "ماري أنجيل" التي تتبعها وتبدو متزعجة جداً لمرورها بهذا الحي سيئة السمعة.

قالت هامسة:

- آنستي قد تخطف حقيقة نقودك في هذا الحي.
- لكن لا. مازلنا نهاراً.

وعلى الرغم من ذلك كانت هاتان السيدتان الانيقتان اللتان اخترقتا هذا العصر هي "سانت ميري" جديرتين بأن تشعران بالخوف إذا عرفتا بأنه منذ نزولهما من العربة كان هناك رجل يتبعهما بحرفية الخبر السري. إنه يسير خلفهما على بعد خمسين متراً يعطي عندما تبطئان ويتواري عندما تتعطفان. هذا الرجل الذي يرتدي ملابس سوداء قد صمم على لا يفقد أثراً هما.

- آه حسن! ادخلني إذن.

فتح الباب على حجرة يضيقها مصباح صغير بالزيت، خشب الأرضية والحوائط في حالة يرثى لها، وعلى المدفأة وضعت صورة زيتية لامرأة سمينة.

في الوسط طاولة مستديرة مغطاة بمفرش متهالك حيث وضعت في قوسي أوراق لعبة الورق، البلاور السحرية وشمعة المستقبل. وأكمل أثاث مكتب الاستشارة بمقعد كبير قديم وثلاثة مقاعد من الفرش.

بدت السيدة "مانو" عجوزاً جداً مما تكون قد نسبت أنها ولدت سنة ١٧٩٨ م تبدو ابتسامتها تكشيرة وتبدو تكشيرتها ابتسامة بطريقة جعلت من الصعب أن تحدد في كلامها جزء الحقيقة والسخرية. أخذت قبعة صغيرة صلعاً كما أخذت جروح جسدها بثوب طويل. على الرغم من ثقة "لوسي" إلا أنها هبت واقفة فجأة وهي تشعر بعدم الارتياح في هذا المكان غير الصحي.

قالت:

- اجلسوا يا سيدتي.

جالت العجوز ببصرها على الطاولة التي حوت معدات عملها.

- ماذا تختران؟

- لعبة الورق.

ثم أضافت بصوت منخفض.

- صديقتي تراقبني فقط.

صاحت السيدة "مانو":

- لعبة الورق. إنك محققة، إنه الأكثر قدماً والأكثر تاكيداً. قدماً كانت مصنوعة من المعدن واليوم لم تعد إلا من الورق المقوى الملون.

أبعدت على الفور الشمعة، والبلاور السحرية والتفت نحو المدفأة:

قالت:

- ها هي صورة معلمتي، الآنسة "لينورماند" العراف الشهيرة للأباطرة والملوك.

ثم تركت نفسها للسقوط في المقعد متاؤهة.

- إمبراطورنا "نابليون الثالث" ليس مثل عمه. إنه يدعى أن الحلم سيتوصل في يوم قريب لتفسير كل شيء.

كم هو مخطئ! ولو يعرف ماذا يتنتظره! شمرت السيدة "مانو" كمبيها وقلبت الورقة ووضعتها في الكاس ثم أخذت تتمتم في هدوء.

خلسة كانت تراقب زائرتها في ضوء المصباح. وبعين عرافه خبيرة كانت تسجل أدق التفاصيل وخاصة الخاتم الصغير الذي يحمل شعار العائلة وترتديه الفتاة الشابة.

عندما فردت الأوراق طافت السيدة العجوز بخيالها من صورة إلى أخرى ومن لون إلى آخر.

مع ما يحمله إليها إلهامها، وما تستنتجه من ملاحظتها للزيارة وحاستها السادسة رسمت مستقبل الآنسة "دي سان سيلفستر". مالت السيدة "مانو" في أدب:

- هل أستطيع أن أتحدث على حرية أمام صديقتك؟
أومات الآنسة "دي سان سيلفستر" برأسها.

- حسن، اسمعي جيداً، لديك يا آنسني حب معاكس، أنت تحبين. لكنه يحبك، كوني متأكدة من ذلك. إنه يحبك بالفعل، إنه رجل شجاع جميل جداً،abis كذلك؟

توقفت عن الحديث بينما ألت بنظرتها الحادة على الفتاة الشابة، إنها تراقب اضطرابها الذي قد يعرفها بما بشخصيته ذلك الذي تصفه. ولكن "لوسي" أغلقت عينيها على أفكارها السرية وهي تنفس بسرعة. لا تستطيع العجوز أن تقرأ شيئاً في عينيها. عندما امتد الصمت استطردت السيدة "مانو" بصوتها الأخش.

- نعم آه الأفق لا ينكشف على الفور، أرى شخصاً يضع العراقيل في الطريق، شخصية غير واضحة ربما امرأة، سوداء كان المرت قد اقترب منها ثم شخصية أخرى أيضاً بالتأكيد يحبونك كثيراً ولكن هناك من يكرهك أيضاً: كوني حذرة! هناك مساومات غامضة، مؤامرات سرية، إنه أمر خطير خطير على من يحبك! أظلم الأفق من

موقفك عندما يحدث هذا الخطأ.

- وهؤلاء الرجال الذين حوله؟

- هناك رجال صغار وآخرون كبار من الناحية السياسية.

- آه! والأحجار الخضراء؟

هزت العرافة رأسها.

- في هذا الشأن يا آنسني لا أستطيع أن أضيف شيئاً. إنني مقيدة بشدة كما أنتي لم أعد أرى شيئاً.

نهضت السيدة، أخذت الآنسة "دي سان سيلفستر" من حقيبتها خمسة فرنكات ووضعتها على الطاولة.

قالت:

- هل هذا هو السحر؟

أجابت العجوز: آسفة

- نعم هو كذلك إلا تريدين البليورة السحرية؟

إنها لا تعرف كيف ترفع قيمة الاستشارة.

- لا، هذا يكفي. هيا يا "ماري أنجليل".

توجهت الآنسة إلى الباب ورفاقتها السيدة "مانو" في أدب ولكن في خيبة أمل واضحة أيضاً.

عندما خرجتا من الباب همست "ماري أنجليل" في أذن رفيقتها.

- ياله من عمل قمت به.

لكن رفيقتها رفعت كتفيها وقالت:

- سترى جيداً.

صاحت السيدة "مانو" وهي تغلق الباب:

- عودي لرؤيتي عندما تحتاجين إلى خدماني.

عادت العرافة إلى الطاولة تجذبها الخمسة فرنكات. نظرت إلى القطعة الفضية وهي تلمع فابتسمت.

إنها تنتمي إلى قبيلة "مانوش"، إنها تعيش من قراءة الطالع. ربما يكون ما كشفت عنه للآنسة الحسناء مفيداً ذات يوم. من يدري؟

خرجت "لوسي" و"ماري أنجليل" من المبني دون أن تلاحظا الرجل ذا

جديد. على الأخص كوني حذرة من الأحجار الخضراء. احتفظي بهدوئك مهما حدث كم من الرجال يلتلفون حول ذلك الذي يحبك! وليس جميعهم تحركهم النبات الحسنة! لحسن الحظ يتمتع بحرص شديد آه! عائلتك تقاوم ولكن لن يفقد شيء.

على العكس تنقشع الغيوم وتتحو السعادة هذا الحلم المزعج نعم ستنعمين بحب كبير يا آنسني

صممت العجوز مرة أخرى. نظرت إليها في صمت ثم قالت فجأة:

- هل تريدين اللعب الإضافية؟ إنها أغلى بفرنكين اثنين، أذعنـت "لوسي" :

- نعم. أريد بعض التوضيحات.

عقدت يديها كأنها تصلي. اختارت العرافة إذن لعبـة أخرى. إنها لعبـة الورق الإسبانية، فرددت جزءاً من الورق في شكل قوس واحتفظت بالباقي في يدها اليسرى.

مدت يدها بالورق إلى الآنسة "دي سان سيلفستر" وقالت:

- من فضلك اسحبـي ثلاثة ورقـات وألقـي بها على الطاولة.

فعلـت "لوسي" .

صاحت السيدة "مانو" :

- رائع.

على الفور اعتمـدت العرافة على حـدسـها تماماً، أعادـت ما قالـته بالفعل ولكن بتفاصيل أكثر حتى إنـها توصلـت إلى رواية كاملـة ومتـمامـكة عن المستـقبل.

اقترـبت "مارـي أنـجلـيل" واستـمعـت مشـدوـهـة. أما الآنسـة "دي سـان سـيلـفـستر" فـلم تستـطـعـ في هـذه المـرـة أن تـخـفـي دـهـشـتها. وعـندـما صـمـمت السـيـدة "مانـو" اـنـتـهـزـت "لوـسي" الفـرـصة وـسـالتـها:

- هل أـسـتـطـعـ أـن أـطـرحـ عـلـيـكـ بـعـضـ الـأـسـلـةـ؟

- بـالـتـاكـيدـ يا آـنـسـنيـ، إـنـي أـسـعـكـ.

- هل يـواجهـ خـطـرـ الـحـربـ؟

- يـوجـدـ خـطـرـ، فـيـ الحـقـيقـةـ لـاـ جـمـيعـاـ. وـلـكـنـ لـيـسـ عـاجـلاـ وـسـيـنـضـعـ

عندما توقفت العربية أمام مقر الشرزي فتح المخادم الباب، رفعت
للوسي جيوبتها وقفزت إلى الرصيف. وقالت للسائق الذي يقي في
مقعده:
- الآنسة ماري أنجيل لديها مشوار. عد لتأخذني من هنا بعد
نصف ساعة.
ثم تسلقت "لوسي" في خفة السلم الكبير المؤدي إلى صالون
الشرزي.

إنها حقا واحدة من أجمل الفتيات وأكثرهن أناقة من بين فتيات
المجتمع الراقي في باريس. السيدة وورث فخور جدا لأنها ضمن
زيانها.

أسرعت إليها الباتجات بمجرد أن ظهرت عند باب الصالون الكبير.
توقفت بتعلقانية أمام مرآة عالية ظهرت فيها كاملة. لقد بدلت "لوسي"
رائعة في حلتها الرمادية القطيفة والقلنسوة التي وضعتها فوق خصلاتها
الشقراء.

ارتسمت ابتسامة على شفتيها. عند هذا الاستنتاج، فكرت على
الفور في "فيليب دي جينساك". إنها تريد أن تكون جميلة فقط من
أجله. نعم، إنها تفكير فيه هو فقط عندما تأتي إلى الخياطة.

عند عودته إلى باريس يجب أن يقيم الكونت حفلًا كالمعتاد.
يجب أن تخثار "لوسي" من الآن الفستان الذي سترتديه في هذه
الليلة، ومن هذا الانطباع الأول، إما تفوز بقلبه أو أن يبتعد عنها تمامًا.
قالت جولييت البائعة وهي تقدم المقعد لـ"لوسي":

- ما الفساتين التي تريدين رؤيتها يا آنستي؟ لقد أخرجنا توا
معاطف الشتاء.

- أريد فستان حفل أفضل مالديك.
على الفور استطاعت الآنسة دي سان سيلفستر مشاهدة آخر
موديلات الشتاء.
الساتان، القطيفة، التافته، والتي تترنح فيها أعمال التطريز في رقة.

قالت وهي تتأمل كل هذه الفساتين الجميلة:

الحلة السوداء الذي كان يقف عند باب مجاور.
بمجرد أن ابتعدتا اقترب الرجل كأنه مار غير مبال ودخل المنزل.
توقف عند الطابق الثالث وطرق الباب. فتحت السيدة العجوز
واستقبلته مبتسمة.
أجلست الرجل ذا الملابس السوداء، الذي سالها دون مقدمات.
- أيتها العجوز ستقولين لي الآن ماذا رويت للسيدتين الجميلتين
اللتين شرفناك بالزيارة.

في اليوم التالي عصرًا أمرت الآنسة دي سيلفستر بتجهيز العربية
لتذهب هي وماري أنجيل إلى وورث الخياطة:
بينما سلكت العربية شارع روبيال قالت "لوسي" التي تفكير منذ
الامس في كلمات السيدة مانو: لرفيقتها:

- بينما ساكون في حجرة القياس. ستتوجهين أنت إلى شارع سان
أونوري. يجب أن تسالي حارس السيد الكونت دي جينساك إذا
كان سيده قد عاد منذ ثمانية أيام وأنا غير متأكدة مما أفقدني النوم.
توردت "ماري أنجيل". ما تطلب منه الفتاة يخرج عن عملها
كوصيفة. تمنت:

- ماذا تطلبين مني؟ هذا ليس صحيحا على الإطلاق إذا علمت
أسرتك بأنني قمت بمثل هذا العمل. قد يطردوني من العمل. وكذلك
الزيارة التي قمنا بها بالأمس للعرفة.
زمت "لوسي" شفتيها وملعت عينها.

- ماري أنجيل، مالم تستعلمي من حارس منزل دي جينساك
ستدفعيني إلى الذهاب إلى هناك بنفسك وفي هذه الحالة سيكون لدى
أسرتي الدافع الحقيقي ليقولوا إن الوصيفة لا تعرف أن تحافظ على سمعة
ابنائهم.

كان هذا برهانا قاطعا للمسكينة.
- حسن يا آنستي ساذهب.

لقد عدلت اليوم عن نزهتها اليومية.

في حجرتها، في ضوء الشموع المهترأ على الشمعدان الفضي
استسلمت الآنسة دي سان سيلفستر ليدي وصيفتها الخبيرة لتلبسها
الفسatan. وقد بدأت "لوسي" تفقد صبرها.

- سيلين! لن أكون جاهزة في الساعة العاشرة! أسرع!

- إذا اهتززت يا آنستي في كل لحظة فلنتمكن من تصفييف
شعرك.

توقفت "لوسي" عن عصبيتها وجلست أمام المرأة. انعكس ضوء
لطيف من الشمعدان على وجهها كأنه يربت على بشرتها الناعمة.
أغلقت عينيها لتفكير في "فيليب" "فيليب" الذي ستراء هذا المساء
لأول مرة بعد شهور طويلة من الانتظار.

مضى أسبوعان منذ عودته إلى "باريس" ولم تكن "لوسي" قد
وجدت الفرصة بعد لتقابله قبل هذا الحفل الذي يقيمه هذا المساء
احتفالاً بعودته.

كم كانت محظوظة عندما اشتهرت هذا الفستان لدى "ورث"! لم
تكن تجده أبداً فستانًا مناسباً مثل هذا الفستان. وفجأة تذكرت الموقف
الذي حدث منذ عشرة أيام. لقد حملت إليها "ماري أنجيل" تهديدات
رجل مجهول لكنها قالت في نفسها "إنها مزحة سخيفة" على الرغم من
ذلك فهي تفكر في هذه التهديدات اللليلة بالحاج. وهي قلقة إلى حد
ما.

إنها جاهزة الآن. وهي تعرف بصعوبة هذه الفانلة المائلة أمامها في
المرأة.

- أوه، يا آنستي "لوسي" أنت جميلة. سيدتي المركبة وسيدي
المركبة في البهار بالفعل في انتظارك. نزلت "لوسي" على السلم الرخام
الفخم يلحق بها وصيف يحمل شعلة وسط حفييف فستانها لتلتحق
بوالديها.

- لم تكن الموضة جميلة جداً على هذا النحو.

وبعد تردد، وقع اختيارها على فستان تواليت أخضر نيلي به تطريز
بالذهب. صاحت السيدة "ورث":

- لا يوجد سواك يا آنستي مع شعرك الأشقر تستطيع أن تلبس هذا
الفسatan: ثاثرت بهذا التعليق.

في هذه اللحظة عادت "ماري أنجيل" من مهمتها.
همست باختصار حتى لا تسمع البائعات السر الذي تحمله.

- لقد عاد منذ خمسة أيام السبت الماضي
اغلقـت "لوسي" عينيها. إنها متغـلة لـتعرف تفاصـيل ما جاءـت به
وصيفـتها ولـم تـرد أـن تـخبرـها بهـ فيـ هـذا الصـالـون الصـاحـبـ. اختـصـرتـ
زيـارتـها وـبعد لـحظـاتـ كانـتـا عندـ السـلمـ. فيـ هـذهـ اللـحظـةـ فقطـ لـاحـظـتـ
"لوسيـ" شـحـوبـ "مارـيـ أـنجـيلـ".

- ماذا بك؟ كم أنت شاحبة؟
قالـتـ "مارـيـ أـنجـيلـ" مرـتعـشـةـ:

- آنستي لو تعلمـونـ ماـ الذيـ حدـثـ ليـ عـندـماـ غـادـرـتـ العـرـبـةـ، فـقـدـ
أـوـفـقـنيـ رـجـلـ وـقـالـ لـيـ بالـحـرـفـ الـواـحـدـ:

"أخـبـرـيـ سـيـدـتـكـ أـنـهـ إـذـ كـانـتـ حـرـيـصـةـ عـلـىـ حـيـاتـهـ فـلاـ يـجـبـ أـنـ
تـتـوـاجـدـ فـيـ طـرـيقـ الـكـوـنـتـ "فيـلـيـبـ دـيـ جـيـنـساـكـ" عـنـدـ سـمـاعـ هـذـهـ
الـجـمـلـةـ، اـنـتـفـضـتـ "لوـسـيـ".

- أـخـبـرـكـ رـجـلـ بـذـلـكـ؟
- نـعـمـ ياـ آـنـسـتـيـ هـذـهـ كـلـمـاـهـ بـالـضـبـطـ. آـنـسـتـيـ، أـرجـوكـ لـاـ تـحاـوليـ
مقـابـلـةـ الـكـوـنـتـ إـنـ خـطـرـ الـمـوتـ يـهـدـدـكـ.

- ماـ شـكـلـ هـذـهـ الرـجـلـ؟
- إـنـهـ أـصـلـعـ تـامـاـ بـشـرـتـهـ دـاـكـنـةـ.

مـفـكـرـةـ وـقـلـقـةـ عـبـرـتـ "لوـسـيـ" الرـصـيفـ وـاسـتـقـلـتـ العـرـبـةـ.
قالـتـ لـلـسـائـقـ:

- إـلـىـ الـبـيـتـ.

الفصل الرابع

سطعت مصابيح الإنارة بضوئها في شارع "سان أونوري" ضوءاً أخضر، ومن مكان إلى مكان ينتقل المتسكعون في البحث عن باب عربة لفتحها أو حسان لرعايتها، بينما يطوف السائقون وهم يدخنون. متسكعون آخرون من نوع مختلف يشغلون حيزاً من الظل بين المصابيح وليس لديهم - كما يبدو عليهم - عادة النوم تحت كباري العاصمة، شاهدهم تجهل ضحكة المؤس التي يعتبرها البعض ابتسامة، ولا الأدب الساخر للباس الذي يعرف الوقت المناسب الذي يدعو فيه البرجوازي نبيل والنبيل برجوازياً

يلاحظون وعلامات الدهشة على جيابهم السكون حيث يوجد على مرمى أبعادهم منزل الكونت "فيليپ دي جينساك".

ليس بعيداً عن هذا المنزل الذي اشتهر بواقعة تuese حدثت منذ إحدى وعشرين سنة حيث اكتشف ذات صباح جنة الدوقة "شوازيل براسلين" مطعونه ثلاثة طعنات. يختفي منزل "دي جينساك" خلف سور عال تعلوه المصابيح، وبخترقه باب من خشب البلوط المدهون. ولكن في هذا المساء فتحت الأبواب ويستطيع المار في شارع "أونوري" أن يرى في نهاية الفناء المستطيل الشبابيك الكبيرة المضاءة لواجهة المنزل. دخلت العربات الفناء. الواحدة تلو الأخرى. توقدت أمام عتبة المدخل المضاء بشعلتين، وتكسو الأرض سجاد حمراء سميكه حتى الدرجات الرخامية.

وقف خادم برندلي جاكت أزرق ذهبياً وينظرلنا أبيض يقدم ذراعه عوناً للجميلات اللاتي ينزلن من العربات في ملابس السهرة ويهنن رأسه تحية للقبعات العالية. تحولت الحجرتان الاماميتان للمنزل في الدور الأرضي إلى صالتي رقص وبكل منهما منصة للفرقة الموسيقية، ومقاعد وثيرة يكسوها قماش ملون بالورد والنبات الأخضر وفقاً للذوق السائد في تلك الأيام.

يزين الحوائط سجاد الكشمير والساري الهندي وقد خصصت صالة

البلياردو للمدخنين.

عائداً من الهند، نظم الكونت "فيليپ دي جينساك" هذا الحفل ليعلن عودته إلى المجتمع الباريسي. كان الكل يعلم أن هذه الحفلة ستكون رائعة.

الفضول الذي تسبب فيه الإعلان عن هذا الحفل قد أدى إلى أن عدد الحاضرين تعدد عدد الدعوات التي طرحت. في ضوء المصابيح والشمع لم يظهر سوى فساتين الحرير أو الدانتيل، أجمل المجوهرات في العالم، القفازات المعطرة. تسريرات الشعر الأنثيق والرجال في ملابسهم السوداء ذات الأزرار الذهبية أو من الأحجار الكريمة.

وكل هذا الجمجم الأنثيق الذي يتواجد دائماً في المسرح وفي الأوبرا ليتبادلوا الأخبار وينشروا آخر أحداث الإمبراطورة. يبدو أنهم لم يتخلوا - في منزل "دي جينساك" - عن موضوعاتهم المفضلة للحديث. نيرات الأصوات وعلو الضحكات أعطت إشارة عن مدى المرح الذي عم المكان، لم يشعر أحد بالضيق لعزف فرقتين موسقيتين في وقت واحد كل على جانبه.

أثناء فترات الراحة التي تسمح للراقصين بالتقاط أنفاسهم يطوف الخدم حاملين صينيات من فضة عليها أكواب الشراب واقداح الشاي أو الشوكولاتة المغطاة بالكريمة، وآخرون يقدمون أكواباً من البيتي فور والستروتشات الإنجليزية الصغيرة ومعها الفاكهة والمربي والمكسر بالسكر الوردي.

يتحدثون تحت النجف.

- عزيزي، لم تعد نراك لدى "تورتوني". هل اتخذت سلوكاً قوياً؟
- لتعلم يا سيدي الكونت أن الخطيب المحترم يبحث دائمًا عن السلوك القويم.

- تبا، لماذا؟

- ليدفن حياة العازب.

- قل لي إذن، لماذا يقيم مضيقنا هذا الحفل الباهظ؟
- أشك أن هذا الحفل قد أقيم على شرف جميلة متنكشف لنا

وعليه نقوش، ويقول بعض الأصدقاء المقربين إنه هدية من صديقه
“مهراجا أدرايانا”.

كانت الجميلة صوفي ترافق سيد المنزل وتتنفس في سرها أن
يقترب منها، بمجرد أن مر أمامها أو قفته بابتسامة مفعمة بالأنوثة.

ـ “فيليب يا عزيزي، ألن ترافقني؟

واثقة بجمالها رفعت الحسنا ذات الشعر الأحمر هامتها لتبهر في
حرفة جمال وجهها ورسم فمها الأحمر الممتلئ كأنه ثمرة ناضجة.
القليل من الرجال يقاومون هذا الإغراء، حتى “جينساك” الذي أجاد
دالما السيطرة على نفسه، انتابه رعشة لم تخف على صوفي.
استطردت بصوت هامس.

ـ مضى أكثر من سنتين لم ترقص معه “فالس”. للاسف رحلت
دون أن تفك في إإنك جاحد، الا تذكر ذلك؟

أجاب فيليب:

ـ نعم يا عزيزتي سارقصك.

مسكا بالسيدة من ذراعها قادها إلى وسط الراقصين. وكما يدوران
معتمانقين يدور فستانها الخملي الأزرق الشبل ثببت عينا صوفي
بعيني الكونت.

تداعت إلى ذاكرتها الكلمات الرقيقة التي شملها بها في الماضي.
بسرعة تذكرة أدق تفاصيل علاقتها الحانية، ثم خيبة أملها التي
تسبب فيها غيابه وأخيرا الألم الذي يسببه صمته.

على الرغم من الراحة التي تشعر بها فإن قلبها يؤلمها، حتى إنها
همست:

ـ ماذا فعلت هناك كل هذا الوقت؟

أجاب فيليب بحدة كانه يريد أن يهرب من السحر الذي بدا
يولد:

ـ لقد عشت. أصطاد.

ـ ماذا إذن؟

ـ أشياء كثيرة خاصة النمر.

الأحداث عن اسمها.

ـ إن الكونت كثوم دائمًا فيما يتعلق بالمسائل العاطفية.

بعيدا وفقت سيدتان تلتنهم عيونهما سيد المنزل، همست الأكثـر
أناقة والتي ترتدي فستانًا من الحرير الأزرق وتحمل اسمًا من أعرق
العائلات:

ـ كم هو جميل! ومن أصل كريم! أوه هل ترين الخاتم الأسود
الغريب الذي يضعه حول إصبعه؟

مالت صديقتها في حيرة ونظرت إلى يده الموضعية على ظهر
المقدع. قالت:

ـ أوه! هذا الخاتم جدير بامير شرقى.

أضافت ذات الفستان الأزرق التي تحلم فجأة باختطاف شاعري على
سفينة مع هذا الرجل الفاتن.

ـ أو جدير بقرصان.

طويل، أنيق، شعره أسود، عيناه خضراء ولامعتان، بهما ابتسامة
ذات سحر خاص، طاف الكونت فيليب بين مدعويه يقبل أصابع
السيدات ويصافح الرجال ويلقي في أدب الدعابات، ولكنه ينسحب
في كل مرة تتطرق أسئلتهم إلى أموره الخاصة. أمام فضولهم ليس أمامه
 سوى إدارة رأسه وإناء الحديث.

يرى الجميع في هذا التكتم عيبا لا يتحمل في الكونت. أما بالنسبة
له فهذا التكتم يرقى إلى أن يكون فضيلة. النساء يحكمن عليه بأنه
جريء لأنه جميل. أصدقاؤه معجبون به ويهسدونه في نفس الوقت،
أصدقاؤه يعترفون بأمانة بأنه ذو شخصية قوية، ولكن خلاف ذلك،
يستخدم إمكاناته في أغراض خفية، لأن الكونت يعرف دائمًا كيف
يسiéطر على نفسه، ولا يكشف عن حياته الخاصة مما يغير المجتمع.

في هذا المساء كان هو الرجل الوحيد الذي لم يخضع للموضة
السائلة، كان يرتدي آخر صيحة في “لندن”， ملابس رمادية داكنة
رافضا الملابس السوداء التي تجعل الرجال يشبهون الجرسونات في
مقهى “ريش”， كان يضع حول إصبعه خاتما محلى بحجر كريم داكن

- آه هؤلاء الشبان! إنهم يلعبون بالنار ويخشون الحريق!
غضت "صوفي" شفتها، واختارت أن تتحلى بالحكمة وقررت
أن تلوذ بالصمم حتى نهاية هذا الحفل الراقص. لكن بمجرد توقف
الموسيقى عن العزف ابتعد الكونت وانحنى واختفى بين الراقصين
الذين يصفقون.

محبطة، شحيت "صوفي"، وغاصت عيناها.
زفرت وهي تضع يديها على وجهها دون أن تلاحظ النظارات
الساخنة- التي يقذف بها بعض الشبان التابعين للقصص العاطفية-
خبية أملها.

في هذه اللحظة بينما يلتفت "فيليب" لاحظ "لوسي" تحت النجفة
اللامعة وهي ترقص مع رجل متائق يرتدي قميصا وفقاً لآخر صيحة
إنجليرية ورباط عنق. مال الشاب نحو "لوسي" محاولا التأثير فيها
بابتسامته الغامضة وهي تسمعه.
سكن "جينساك" مكانه يتبع بعينيه هذه الفتاة الجميلة الراقصة
التي اختفت خلف النباتات الخضراء. فكر الكونت بشيء من خيبة
الأمل:

هل تحب هذا التمثال المتائق؟
لكن ما هي الرقصة تنتهي. بسرعة هرع "فيليب" في البحث عن
ذات الفستان الأخضر.

إنها هنا بالقرب من نافذة عالية تمسك بيدها ذات القفار الأبيض
مرروحة تحركها في لامبالاة.
كانها استشعرت وصول "فيليب" لفت رأسها في ببطء. ومرت
بنظرتها لحة وضع يدها على صدرها لتهديه من ضربات قلبها
المتسارعة.

- "فيليب"!
انحنى أمامها.

رفع الكونت عينيه عن الرأس الأنثيق الذي يحيط به تمويجات شعرها
ال أحمر، الذي تترج رائحته مع العطر الرقيق المنبعث من فتحة الفستان
حيث تلمع الماسات.
سالته:

- النساء الهنديات جميلات، أليس كذلك؟
أجاب الكونت:
- هذا يتوقف على وجهة نظر من برلين.
- أعطني السبب الحقيقي وراء غيابك الطويل يا "فيليب".
- هل تريدين السبب حقا؟
- تعرف جيداً أنك تستطيع الإفشاء إلى صديقة حقيقة لم خفت،
وم تخاف؟
- لا شيء.

- لدى دائمًا علاقات مع شخصيات قوية ومهمة. شعرت "صوفي"
بارتجاه قبضة فارسها حول خصرها، خطواتها الواثقة أصبحت أقل
تركيزًا.
ادركت بعد فوات الأوان أنها لم تعد مسيطرة على حركات قلبها
الجريح، فهي المرأة الحاذقة تحولت الآن إلى فراشة حمقاء تتخطى هنا
وهناك. إن صاحب مأساتها الحالية والمتسبب فيها هو:
السيد "دي موراني" سكرتير السيد "بيتر" مدير الشرطة. إنه
هو وبتدخلاته وأعماله المشبوهة أكسبها شيئاً فشيئاً عادة الإفصاح،
وأن تحمل إليه كل ما تسمعه بحججة أنه يجمع القصص الصغيرة
للهالم الكبير.

إنه هو أيضاً من كشف لها أن الكونت "فيليب دي جينساك" ليس
نبيلًا مثل باقي النبلاء، إن جده الأكبر ابن أميرال كان يتردد على
"فولتير" و"بورشيه"، وقد صوت لقتل الملك وحفيد هذا النبيل المعادي
للملكية عاش بجانب حياة النبلاء حياة أخرى سرية حيث كان يقابل
من وقت لآخر أشخاصاً ثوريين، وهذا ما يفسر رحيله المفاجئ إلى
الهند. قد قال "موراني":

عنه قبل الكونت. فكر وهو يقود الفتاة أنه يجب أن يتroxى الخذر في سلوكه بين الناس، وعلى الرغم مما يشعر به أن يحافظ أيضاً بالمسافات حتى يتتجنب أي مقاجأة. في المرات الرملية، أشجار التخييل، النباتات الصحراوية، كانت حديقة الشتاء مكاناً يتسنم بالتميز. بفضل العمل المتواصل لمكيف هواء قوي، يسودها طقس دافئ، ورطب يناسب النباتات الحساسة.

كانت المقاعد الموجودة تحت الأنواع المختلفة مشغولة بأزواج ساكنة كانوا واقعون تحت ضغط شديد. قال "جيتساك".

ـ لتجلس.

رغماً عنها ارتعشت "لوسي" كان هناك رجل له بشرة داكنة يرتدي ملابس بيضاء وعلى رأسه عمامة من القطن يمشي في بطء وذراً عاه معقودتان على صدره وعيناه يقطنان. فكرت "لوسي" على الفور في المجهول الذي قابل "ماري أنجيل". سالت "فيليب".

ـ من هذا الرجل؟

ـ إنه "راما".

ـ "راما"؟

ـ نعم رجل أثق به أحضرته معي من الهند.

سالته "لوسي" أيضاً:

ـ بأي لغة تكلمه؟

ـ بالفرنسية

قالت "لوسي" ولم يعد لديها شك في أن ذلك المجهول الغامض هو هذا الرجل الغريب.

ـ إنه يتحدث لغتنا إذن.

هل ستحكي الحادثة لـ"فيليب"؟ لا. ليس بعد آجلاً ولكن استطرد الكونت.

ـ تعرفت إليه في "بونديشيري" إنه يعرف عن ظهر قلب كل مغامرات "سوجريغا" ملك القرود.

ـ أنت أيضاً تعرف حكايات جميلة. لم أبداً تلક التي روتها

ـ آنسستي! لقد نلت شرف تحية والديك منذ قليل، ولكن لم يسعدني رؤيتك بجانبهما؛ يبدو أن هذا الدبلوماسي الشاب قد اختطفك للرقص. لقد احتفظ بك كثيراً.

توقف "فيليب" بمرق "لوسي" بنظره استحوذ ما أثار اضطرابها، إنها تعرف في هذه اللحظة أنها حازت على إعجابه، أخفقت جفنيها وقالت بنبرة طفولية:

ـ أوه! لا

ـ أوه! بلى

ـ إنه لطيف جداً، ولكنه مشير للضيق. لقد القى علي درساً في الجغرافيا.

ـ في قستانها الأخضر النيلي المطرز بالخطوط الذهبية كانت "لوسي" أكثر من فاتنة.

نظر الكونت بإعجاب إلى خصلاتها الشقراء وعينيها الحضراوين، تلك الفتاة الصغيرة التي تركها منذ سنتين قد أصبحت اليوم شابة رائعة الجمال. أجمل من زهرة منفتحة، إنها ثمرة يانعة.

ل لكنه كبت انفعالاته العاطفية، فلديه من المهام الأخرى مالا يحتمل التأخير ولا الضعف، فقد عاد على الفور إلى "فيليب" ذي الأدب الجم. لاحظت "لوسي" ذلك فارادت مداعبته.

ـ لقد رأيتكم ترقص مع السيدة "دالبان".

ـ لا أخفي ذلك.

ـ هل لا يلقي أن أسالك إذا كنت ما زلت تحبها؟
ـ ارتسمت ابتسامة على شفتي "فيليب".

ـ أنت تدعين مشاعر لم أشعر بها أبداً.
ـ ليتجنب الخوض في هذا الحديث سألهما بصوته الساحر:
ـ هل تريدين الرقص يا "لوسي"؟ كما في الماضي لدى عمتك "هيلدجارد".

ـ لا، شكرًا يا "فيليب". أريد فقط أن أتحدث إليك. لم نتحدث منذ زمن طويل. هنا بنا إذا أردت إلى حديقة الشتاء. رغمما

قال القادم:
 - صباح الخير يا ابن عمي.
 - صباح الخير يا ابن عمي، إني أسمعك.
 كانت نبرة "جينساك" مختصرة.
 - في الرابع والعشرين.
 - حسن.
 - الغابة.
 - بملابس كاهن؟
 - نعم، بدون خطأ.

ابتعد الرجل ذو السولفين، وبقي الكونت بمفرده مفكراً، ثم توجه إلى الصالون، ابتعد "rama" ليفسح لسيده الطريق. ووجهه جامد كالقناع.

القى إليه "الكسندر دوما" ابن وهو مار:
 - "جينساك"، هل ستراك في صالة التدخين؟
 أجاب:
 - نعم، ساذب لمصافحة "دي جوتبيه".

لقد أصبح المضيف موضوع كل الأحاديث. ناقلت الأفواه اسمه كالدخان بين معجب وحاسد.

- هل ستبتزوج "صوفي دالبان"؟
 سائل "الكسندر دوما" ابن:
 - هل تعرفون ماذا أصبح "جاكومو"؟
 - خادمه؟ لقد افترقا قبل ذهابه إلى الهند.
 - حيث أتي بـ"rama".
 - نعم إنه يبدو ممتازا.

سأل متحذلق له مظهر إنجلزي عن أخبار الكونت "جينساك" السياسية. القى سؤاله بالظلال على الحديث ولاذ كل منهم بالصمت خلف دخانه.

بعد قليل ظهر الكونت في صالة البلياردو وأسرع نحو "تيفيل

لي منذ زمن طويل في المرة الأولى التي تقابلنا فيها؛ كنت أنا فتاة صغيرة وأنت شاباً صغيراً، بما أنك تكبرني بثمان سنوات. استدررت ذكرياتها في حنان.

استدعت الصداقة التي ربطت أسرتيهما ومعماراً تهما المشتركة، كانت تدفعه دون أن تدري ليقضي إليها ما يداخله. في ظل هذا الصوت الجميل، هوت إرادة "فيليب" وتملأه الاضطراب، مال نحو "لوسي". إنها تبهره، وتجذبه بشدة على الفور لم يعد قادرًا على السيطرة على انفعالاته العاطفية، اقترب من "لوسي" لكن ظهر "rama" فجأة أمامه وانحنى.

- سيدى!
 هم "جينساك" واقفاً.
 - ماذا تزيد يا "rama"؟
 قال الهندي بصوت منخفض:
 - لقد وصل ابن عمك.
 - أرجو المعذرة يا "لوسي" ، "rama" سيوصلك إلى الصالون وسأقابلك في الرقصة القادمة.

- نهضت "لوسي". في هذه اللحظة كرهته لخيانته لنفسه بمحاولة الهروب منها. لكن لماذا؟ ماذا يحدث؟

ابتعد "فيليب" بينما بقيت بمفردها أمام هذا الوجه البرنزى - الذي يضع العمامة - الغامض المثير للشك. إن عيني هذا الهندي شديدة السواد وبهما ثبات غريب. ارتعشت "لوسي" دون أن تنتظر اتجهت إلى الصالون، وبإشارة أومات إلى الحارم بأنها لا ترغب في وجوده.

لحت ذلك الرجل الذي اتجه إليه "فيليب" ، إنه رجل رمادي الشعر على جانبي خديه سالفان كثيفان له وجه متامر.

الآن الرجال بفرد هما بينما وقف "rama" بعتبة حديقة الشتاء.

جوتبيه .

- الن تشرك في اللعب هذا المساء يا سيدى العزيز؟

أجاب "جوتبيه" .

- كنت أفك فى ذلك.

مع تاخر الوقت قلت حدة الموسيقى وفقد الراقصون حيوتهم
والمتحدون حماسهم.

استمتع الضيوف باللحظات الاخيرة من السهرة. دون انتظار
انصراف آخر المدعويين انسحب الكوتوت مع "راما" إلى المكتبة في
الدور الاول. بمجرد انأغلق الباب جلس "فيليب" في مقعد وامر
"rama" قائلاً:

- احك يا "rama".

- لا، ليس بعد، إنني أنتظره.

- بمجرد أن يصلك سلمه لي.

بعي السيد "موراني" بمفرده.

بيترى رئيس الشرطة يعتمد على "موراني" ، ونابلسون الثالث
يعتمد على "بيترى" : و "موراني" يتربّى
لكل عمل جيد مهما كان قويانا نقطة ضعف، وكان لدى
"موراني" نقطة ضعف، وهذا هو سبب عصبيته هذا الصباح، إنه ذلك
القوم المشوق المعتمد بنفسه، هاتان العينان الداكنتان اللتان من أجلهما
مستعد أن يضحي بروحه.

حاول السيد "موراني" أن يدفع هذه الرؤية عن تفكيره بعد أن
أصبحت عذابه المستمر.

كان قد ظلل وقتا طويلا يرضي رغباته بمصاحبة الجميلات الماجنات.
ولكن خلال إحدى الحفلات التي أقيمت في قصر "سان كلود" على
شرف الأمير، قدم له أحد الأصدقاء "لوسي" . فتاة شابة لم ير مثلها قط
من قبل .

منذ ذلك اليوم اكتشف أن له قلبا، قلبا تتسابق دقاته عندما
يتذكرـ حملـ هذه الخلقة الشقراء الرائعة.

آه! لو استطاع في الأيام القادمة أن يحل محل السيد "بيترى" النـ

"خادم في عربة؟ هذا ما أدهشني أكثر وقررت أن أراقبه من قرب في هذه الليلة.

وما أن لي خبرة في ذلك فقد تم اختياري رئيس العمال الذين يحملون الصينيات.

في بيت "جينساك" طباخ ثرثار بما يكتفي: "البير" وهو الذي يتولى أعمال الطبخ ويشرف على تقديم الطعام، أرسين خادم الغرفة وهو رجل قوي مثل الأتراك، وبستانى لا يتكلّم أبداً، سائق أرمي وله ابن يعمل مائس خيل، وأخيراً البواب وزوجته.

كل هؤلاء باستثناء خدم الغرفة ينامون خلف المنزل، أما "rama" الخادم الهندي الذي يبدو أن السبب الوحيد لوجوده هو الإشراف على المكان والتبنّي برغبات السيد، فيما على أريكة في مكتب ملاصق للمكتبة في الدور الأول.

علمت من الطباخ أن السيد "دي جينساك" يتحدث معه تارة بالفرنسية وتارة بلغة أخرى تبدو أنها الهندوستانية، وإن "rama" يتكلّم كثيراً بصوت منخفض في أذن سيده وبصطحبه إلى المكتبة.

قسمت ليلتي بين غرفة الخدمة والمطبخ والصالون حتى إنني تواجدت عدة مرات في حديقة الشتاء.

لم يرقض الكونت "دي جينساك" إلا مرة واحدة مع السيدة "دالبان" التي تركها من أجل الآنسة "دي سان سيلفستر".

لقد انسحب مع هذه الأخيرة إلى حديقة الشتاء.

وبعد ذلك تنقل بين صالون آخر ضاحكاً ومتحدناً إلى الجميع، وعلى الرغم من ذلك لم ينتظِر رحيل آخر الضيوف وصعد إلى الدور الأول مع "rama".

إذا كانت السيدة "دالبان" قد بدت حزينة لأنها لم تعاود رؤية الكونت "دي جينساك" إلا أنها لم تظهر شيئاً وأخذت ترفض حتى النهاية.

هذا ما عرفته من الطبخة والسائل.

ثلاث مرات، منذ عودته، أرسل الكونت "rama" لینام بالخارج، وفي

يخسر "نابلليون الثالث" شيئاً من هذا التغيير على العكس. عندئذ ستكون الآنسة "دي سان سيلفستر" السيدة "دي مورانى" وزوجة رئيس الشرطة.

الجميع يعرف أن التسامح لا يورث شيئاً. يجب أن يكون الإنسان "ميكيافيلياً" وبدون رحمة وـ "جينساك" مثل الآخرين يجب الوشاية به.

دق الباب فجأة مما أفرع "مورانى".

- ادخل:

إنه السكرتير في يده ورقة.

- ها هو تقرير بورجونى.

يبدو "مورانى" مساعد بيترى محظوظاً بشدة.

يبدو أنه ينتظر نزع قرص الشمع وينظر إلى التوقيع. نعم إنه تقرير أحد أفضل عملائه. إنه عضو في مكتب "دوبي" شارع "تامبل" الذي يقدم الخدمة للمطاعم الكبيرة والخدم المتميزين للحفلات. لقد بقي حتى الفجر يشرب المرطبات في الحفل الراقص في منزل "جينساك".

بعد مثل هذه الليلة لم يذهب الرجل للنوم. فقط، خلع ملابسه الرسمية الخاصة بالحفل وارتدى ملابس أكثر راحة ودون ملاحظاته. قرأ "مورانى" باهتمام تقرير بورجونى.

صباح أمس أوقفني الذي يدعى "دونوى" وقال لي: "بريتون" هذا، هو اسمي في العمل، لدى عمل من أجلك. يقيم الكونت "دي جينساك" حفل راقصاً في بيته. وما أنك واحد من أفضل الموظفين لدى فلقد دونت اسمك في مقدمة القائمة مالم تر في ذلك ضيراً.

إنه الخادم الهندي لدى السيد "جينساك" الذي أحضر يوم أمس خطاباً من سيد طالباً اثنى عشر عملاً وسيدة تخل الملابس.

وعندما دهشت أن أجنبى ليس له وقت طويل في "باريس" يستطيع أن يأتي من شارع "سان أونورى" إلى شارع "تامبل" سيراً على الأقدام قال لي "دوبي" إنه جاء راكباً عربة:

٤ - معرفة الرجل ذي الشارب الضخم الذي أشار إليه.
 ٥ - مراقبة العلاقة بين "جينساك" والأنسة "سان سيلفستر".
 من المؤكد أن جهود بورجوني وأعوانة سيدفع عنها كاملاً.
 متاجهلاً وجود سكريته ارتدي "موراني" معطفه ووضع قبعته
 وغادر هذا المكتب الكثيب الذي انطبعت كتابته عليه.
 في الشارع نادى سائق عزبة:
 شارع سان بيريز.

توقفت العربية أمام الواجهة الجميلة الشامخة للمنزل.
 دفع أجر السائق وسأل البواب:
 - ألم تخرج السيدة "داليان"؟
 قال البواب الذي عرف المترددين على المنزل:
 - لا يا سيدي، من فضلك اتبعني وسيخبرك الخادم.
 صعد "موراني" السلالم الذي يتوسطه درايزين حديدي يؤدي إلى
 الصالون الخاص بسيدة المنزل.
 شارل خادم مدير البنك صاحب المنزل المتوفى خرج من الردهة
 المظلمة.

- سيدتي ما زالت نائمة.
 قال الزائر متوجها نحو الباب الأول للصالون:
 - اذهب وأيقظها.
 قال "شارل":
 - لا استطيع ذلك يا سيدي.
 أمره "موراني" في وقاره:
 - اصمت:
 دفع الرجل العجوز وترجمه إلى غرفة "صوفي" فهو يعرف المنزل
 جيداً.
 بدا أمامه غطاء رأس ومريلة. رجحه الخادمة الصغيرة عندما وضع يده

كل مرة بعد رحيل الهندي كان يأتي لزيارة الكونت رجل له شارب ضخم. لا أحد يعرف من هو. الطياغ العجوز كثوم جدا حتى إنه لا يفصح بأي شيء لا يلي شخص.

لا أحد يعرف أين قضى "راما" الليل.
 قبل أن أرحل عن المكان مررت بحديقة الشناء.
 ليس بعيداً عن الحوض الصغير وجدت سالفين مستعدين. يبدو أنه أثناء السهرة أراد أحد الأشخاص إخفاء وجهه الحقيقي.
 مراقبة الليل والنهر لنزل "جينساك" على قدم وساق، لكن حتى ذلك الوقت يبدو وأن عملاءنا في "سان أونوري" ليسوا تشيطين بالقدر الكافي، لم يفكروا أي منهم في مراقبة "راما" على الرغم من سهولة التعرف عليه في الليل بسبب بياض ملابسه وعمامته.
 تحدثت مع سائق الكونت الذي يحرره عقد "المهراجا" لقد سمعه يتحدث عنه مع "أرسين" الذي نظر إليه في إعجاب في علبة.
 هل يجب أن استمر في الجهاز "جينساك" أم تنوين أن تضعني في قضية أخرى؟ على أية حال أنا في خدمتك.

(بورجوني)
 ثار "موراني" لأن هناك بكل وضوح قضية تدعى "جينساك"، كل شيء يبرهن على ذلك!
 هذا الكونت سليل الملوك يجب كشفه. وهذه الأنسة "دي سان سيلفستر" تلاحقه بدون توقف هذا أمر لا يتحمل.

كتب "موراني" في ثورة غضبه رداً على تقرير بورجوني:
 من الآن فصاعداً، العميل "بورجوني" سيهتم بالكونت "جينساك"
 وكل المقربين إليه. يستطيع أن يستخدم عملاء آخرين لمساعدته
 وسيكون له عمولة عليهم.
 يجب عليه بكل الوسائل أن:

- ١ - يجمع كل المعلومات الممكنة عن أنشطة "دي جينساك".
- ٢ - جمع المعلومات عن "راما".
- ٣ - العثور على الرجل الذي فقد سالفيه.

على مقبض الباب.

- سيدى، أرجوك.

- أصمتى:

دخل الغرفة الغارقة في الظلام، إنه يعرف المكان جيدا حتى إنه تفادي الاصطدام بقطع الاثاث متحسسا طريقه توجه نحو أول نافذة وأزاح ستائر، دخل نور الصباح بقوه في الغرفة ذات اللون الازرق الذهبي في سريرها المنجد بالساتان استيقظت صوفى فزعة.

- ماذا هنالك؟ من؟

نهضت وسط الدانتيل ويداها على عينيها لتحميهم من النور.

رددت الارملة الشابة، وما زالت تحت اثر النوم:

- أميلي ماذا يحدث؟

- اهدى يا صديقتي العزيزة يجب أن نتحدث.

عندما سمعت هذا الصوت انتفضت دهشة وتظاهرت بالحجل:

- لكن سيد مورانى يبدوا لي انك في غرفتي!

بدون إخراج توجه الزائر إلى سريرها:

- لا تظاهري بالحياء من قضلك! ومن ناحية أخرى إنها الحادية عشرة صباحا. وهذا وقت مناسب للاستيقاظ حتى بعد حفل راقص.

- دعني أنهض من سريري وأرتدي معطفا.

- لا فالددة!

- يبدو أن لديك كل المعلومات.

- أكثر ما تتصورين. أما زلت تحبينه؟

قالت بدهشة مصطنعة:

- عمن تتحدث؟

- حاولى أن تنجحي في أن يحبك جينساك تماما، وأبعديه عن الآنسة سان سيلفستر واجعليه يتكلم

- ماذا تقول؟

- لا تظاهري بالبراءة. ستنقلين لي كل ما تسمعه منه اذناك. رفعت صوفى رأسها في كبرباء.

على مقرب الباب.

- سيدتي، أرجوك.

- أصمتني:

دخل الغرفة الغارقة في الظلام، إنه يعرف المكان جيدا حتى إنه تفادي الاصطدام بقطع الآثار متensiسا طريقه توجه نحو أول نافذة وأزاح ستائر، دخل نور الصباح بقوه في الغرفة ذات اللون الأزرق الذهبي في سريرها المنجد بالساتان استيقظت "صوفى" فزعة.

- ماذا هنالك؟ من؟

نهضت وسط الدانتيل ويداها على عينيها لتحميهم من النور.

رددت الأرملة الشابة، وما زالت تحت أثر النوم:

- أميلي! ماذا يحدث؟

- اهدئي يا صديقتي العزيزة يجب أن تتحدث.

عندما سمعت هذا الصوت انقضت دهشة وتظاهرت بالخجل:

- لكن سيد "موراني" يبدو لي أنك في غرفتي!

بدون إخراج توجه الزائر إلى سريرها:

- لا تظاهرة بالحياة من فضلك! ومن ناحية أخرى إنها الحادية عشرة صباحاً، وهذا وقت مناسب للامتناع حتى بعد حفل راقص.

- دعني أنهض من سريري وأرتدي معطفاً.

- لا فائدة!

- يبدو أن لديك كل المعلومات.

- أكثر مما تتصورين، أما زلت تحبينه؟

قالت بدهشة مصطنعة:

- عمن تتحدث؟

- حاولت أن تنجحي في أن يحبك "جينساك" تماماً، وأبعديه عن الآنسة "سان سيلفستر" واجعليه يتكلم

- ماذا تقول؟

- لا تظاهرة بالبراءة، ستنقلين لي كل ما تسمعه منه أذناك، رفعت "صوفى" رأسها في كبرباء.

الفصل السادس

- لا. لقد نسيتها عن قصد. اعتراضاتها تعبني.
بقي الكونت غير مبال وعلى الرغم من ذلك قال والحمد لله في صوته:
- عزيزتي "لوسي" هانا قد استعدتك، أنت تذكريني بالراهقة الجميلة ذات المخللات الشقراء التي اصطبختها لأول مرة بمودة والديها إلى المسرح الفرنسي.
ابتسمت "لوسي".
- عزيزى "فيليب" قبل أن تصطحب مراهقة لقد اصطبخت البنت الصغيرة لتناول الحلوي أو لشرب الكوكاكولا أو تشاهد مسرح العرائس في الشانزلزيه.
اقترب من الزائرة. إنه يراها ساحرة جميلة دائمًا كما كانت أمس تحت الأنوار الصناعية.
- لماذا جئت لتقابليني خلسة؟
- عندي الكثير الذي أود أن أقوله لك، للأسف لا أعرف من أين أبدأ.
- سأساعدك يا صديقتي.
نهض "فيليب" وكذلك "لوسي"، وقف كلاهما وجهًا لوجه بتبادل النظارات في صمت طويل ثم وضع الكونت يديه على كتفي الفتاة، وكسر الصمت قائلاً:
- "لوسي"! عزيزتي "لوسي"! جئت لتحديثي عن الغد. عن الاعتراف الرسمي بالحب أليس كذلك؟
كشفه صوته الأخش. انتابها بعض الخجل. قالت:
- نعم. عن الزواج!
ارتعدت شفتها "فيليب".
- آه! "لوسي"! هل جئت لتقولي لي؟
توقف وأكملت هي الجملة.
- هل تريدين أن أصبح زوجتك؟
- أنت تسعدينني! تعرفين كم أحبك، وتعربين أغلى أمنياتي.

سلكت الآنسة "دي سيلفستر" سيرًا على قد미ها كبرجوازية بسيطة شارع "سان أونوري".
لقد تركت منزل والديها في شارع "باك" دون أن تخبر أحداً لأنها وجدت ذلك غير مفيد، كما وجدت أنه من الخطير وجود شاهد معها مثل "ماري أنجيلا".
من حسن الحظ أن الجنو لم يكن محظوظاً حتى لا تخاطر بتلويث فستانها وحذائها بالطين. كلما اقتربت من هدفها كانت تبطئ. إن الخجل يعطليها.
ها هي قد وصلت إلى أبواب بيت "جينساك" لم تكن تتوقع أن تراها مغلقة. هل سيجعلها هذا العائق الأول تراجع؟ لا. بشجاعة دقت "لوسي" الجرس خرج إليها الباب.
- ماذا تريدين؟
- رؤية سيدى الكونت "دي جينساك".
عبر الباب الفنان تابعاً الفتاة الشابة. عند السلالم ظهر "راما". عقد ذراعيه وانحنى يحيى الزائرة، ودعاهما بان المنزل تشرف بوجودها وقادها إلى الصالون.
لفت نظر الفتاة النباتات الموضوعة في أصنف نحاسية والحرف المزخرف، كما أثار انتباها الأطراف المدببة لسفف التخيل.
خلف الحمام الذي ملاها ودفعها للمجيء الحذر الذي شعرت به في ظل هذا الديكور الهادئ الذي يحبطها مما جعلها لا تشعر باقتراب الكونت "دي جينساك".
- "لوسي"! كم أنا سعيد بوجودك هنا!
- أوه "فيليب" لقد فاجأتني بما أفرغتني.
 وأشار إلى المقعد لكي تجلس، وجلس بدوره أمامها. إن هذه الزيارة تبدو له دربًا من الجرأة إذ سالها:
- هل تاهت منك وصيفتك؟

فجأة جذبها "فيليب" نحوه عندما هم بتقبيلها سالته "لوسي" في
فضول:

- وصوفي دالبان؟

استعاد سيطرته على نفسه وأجابها:

- كنت أعرف السيد " DALBAN " أما أرمنته أراها بتصورية؛ لأن لها
علاقات أرى أنها سبعة: "موراني" مثلاً سكرتير "بيتربي" - رئيس
الشرطة. يذهب كثيراً إليها إنه ليس جيداً، ولا يجب البوح بأي شيء
 أمام هذه المرأة. شعرت "لوسي" بأنها ارتكبت خطأ عندما تحدثت عن
"صوفي" ، وبصوت منخفض قالت:

- إني أنتظر إجابتكم يا "فيليب".

- نظر إليها في هدوء.

- أنت تعرفين يا "لوسي" إجابة قلبي، ولكن إجابة الرجل العاقل
تمليها علي ذكرى جدي الأكبر الذي كان يدعى "جينساك ليبerti" ،
وصوت من أجل موت الملك.

انتصبت وقد شعرت بالإهانة وأجابت:

- تروي عنك قصص كثيرة مما يتهامسون بذلك ما زلت تتردد على
الرفاق القدامي لـ "أوريسيني" .

قال:

- ولو كان ذلك حقاً:

ارتعش فمها الجميل:

- لن أجد شيئاً لأقوله عن ذلك. على العكس لاني - أنا أيضاً كان
لي جد صديق حبيب "لشاتوبيريان" . الذي لم يرد أبداً أن يخدم
نابليون الأول . لانه كان يرى أنه مغتصب، ولا "لويس الثامن عشر"
وأخاه؛ لانه كان يرى أنهم يخرجان من مصانع أجنبية.

لمعت عيناً "فيليب" ، هل ذلك سخرية أم غضب؟

- حسناً جداً! لكن لا تنسى أبداً أن هناك ظروفًا تتطلب أن يهتم
الإنسان الآخرين قبيل اهتمامه بنفسه. هناك مهام يجب استيفاؤها،
وهي ليست دائمًا بدون مخاطرة.

سالته فجأة وبصوت حاد:
- هل كان "جينساك ليبerti" متزوجاً يا "فيليب"؟
وعندما تقدمت نحو الباب لحق بها.

- اسمعي يا "لوسي". لقد قدمت لي أجمل برهان على حبك
عندما جئت إلى بيتي بمفردك سائلة أن أتخذك زوجة. وبدورني سأقدم
لك أكبر برهان على شعوري العميق تجاهك. ربما لن يجدوا لك هذا
البرهان سوى مسألة يصعب تحملها على أية حال، سيسمع لك هذا
البرهان بقياس الثقة والإيمان الذي أضعهما فيك.

صفق "جينساك" ، فتح الباب ليظهر الحادم.
صاح:

- أغراضي.

بعد ثوان دخل "rama" وعلى ذراعيه المعطف والقبعة والعصا الخاصة
بالكونت. بقيت "لوسي" ساكتة دون أن تنبس بكلمة. صاح "فيليب"
وهو يرتدي المعطف:

- هل تعرفين أنك متورطة بغيره مجيشك إلى هنا بمفردك؟
- كيف ذلك؟

- الاهتمام الذي يحيطني به السيد "دي موراني" . نعم، هذا الرجل
 يجعلهم يراقبون أبواب بيتي ليلًا ونهاراً.

ادركت "لوسي" الآن لماذا كانت الأبواب مغلقة؟
- هذا المساء سببلج مساعد مدير الشرطة بانك زرتني، والأكثر
خطورة في الأمر أن هذا الشرطي يحبك.

إضاف وهو يقودها إلى الفتاء:

- لا تهمل غيرته؟

أجابت بصوت واضح:

- أفعالي دائمًا صادقة، وليس من عادي إخفاء مشاعري. إني لا
أحب السيد "دي موراني" . اليوم أنا أكرهه!

- شكرًا يا عزيزتي: إني متأكد أنك كنت ستعجبين "جينساك
ليبerti" . "rama" !

فجأة جذبها "فيليب" نحوه عندما هم يتقبلها سالته "لوسي" في
فضول: - و "صوفي دالبان"؟

استعاد سيطرته على نفسه وأجابها:

- كنت أعرف السيد " DALBAN " أما أرملته أراها بضعاً؛ لأن لها
علاقات أرى أنها سيئة: "مورانى" مثلاً سكرتير "بوترى" - رئيس
الشرطة. يذهب كثيراً إليها إنها ليس جيدة، ولا يجب البوح بأى شيء
 أمام هذه المرأة. شعرت "لوسي" بأنها ارتكبت خطأ عندما تحدثت عن
"صوفي" ، وبصوت منخفض قالت:

- إني أنتظر إجابتك يا "فيليب".
- نظر إليها في هدوء.

- أنت تعرفين يا "لوسي" إجابة قلبي، ولكن إجابة الرجل العاقل
تلبيها على ذكرى جدي الأكبر الذي كان يدعى "جينساك ليبرتى" ،
وصوت من أجل موت الملك.

انتصبت وقد شعرت بالإهانة وأجابته:
- تُروى عنك قصص كثيرة مما يتهامسون بذلك ما زلت تتردد على
الرفاق القدامى لـ "اورسينى" .
قال:

- ولو كان ذلك حقاً:
ارتعش فمهما الجميل:

- لن أجد شيئاً لأقوله عن ذلك. على العكس لاني - أنا أيضاً كان
لي جد صديق حميم "لشاتوبيريان" . الذي لم يرد أبداً أن يخدم
"نابليون الأول" لأنه كان يرى أنه مغتصب، ولا "لويس الثامن عشر"
وأخاه؛ لأنه كان يرى أنهما يخرجان من مصانع أجنبية.

لمع عيناً "فيليب" ، هل ذلك سخرية أم غضب؟
- حسناً جداً! لكن لا تنسى أبداً أن هناك ظروفًا تتطلب أن يهتم
الإنسان بالآخرين قبل اهتمامه بنفسه. هناك مهام يجب استيفاؤها،
وهي ليست دائمًا بدون مخاطرة.

سالته فجأة وبصوت حاد:
- هل كان "جينساك ليبرتى" متزوجاً يا "فيليب"؟
وعندما تقدمت نحو الباب لحق بها.

- اسمعي يا "لوسي" . لقد قدمت لي أجمل برهان على حبك
عندما جئت إلى بيتي بمفردك سائلة أن أتخذك زوجة. وبدورى سأقدم
لك أكبر برهان على شعورى العميق تجاهك. ربما لن يبدوك لك هذا
البرهان سوى مسألة يصعب تحملها على أية حال، سيسمع لك هذا
البرهان بقياس الثقة والإعان الذى أضعهما فىك.
صفق "جينساك" ، فتح الباب ليظهر الخادم.
صاح:
- أغراضي.

بعد ثوان دخل "rama" وعلى ذراعيه المعلطف والقبعة والعصا الخاصة
بالكونت. بقيت "لوسي" ساكتة دون أن تبس بكلمة. صاح "فيليب"
وهو يرتدي المعلطف:

- هل تعرفين أنك متورطة بغرد مجيك إلى هنا بمفردك؟
- كيف ذلك؟
- الاهتمام الذى يحيطنى به السيد "دي مورانى" . نعم، هذا الرجل
يعملهم يراقبون أبواب بيته ليلًا ونهاراً.

ادركت "لوسي" الآن لماذا كانت الأبواب مغلقة؟
- هذا المساء سيعمل مساعد مدير الشرطة بانك زرتني، والأكثر
خطورة في الأمر أن هذا الشرطي يحبك.

اضاف وهو يقودها إلى الفتنه:
- ألا تهمك غيرته؟
أجابت بصوت واضح:

- أفعالي دائمًا صادقة، وليس من عادي إخفاء مشاعري. إني لا
أحب السيد "دي مورانى" . اليوم أنا أكرهه!
- شكرًا يا عزيزتي: إني متأكد أنك كنت ستعجبين "جينساك
ليبرتى" . "rama" !

أحياناً فاقدة طلاءها، وحدائقها الصغيرة حيث يجف الغسيل. غادر "لوسي" و"فيليب" العربية عند اعتاب "بير لاشيز".

قال الكورت:

- سنتبع الطريق سيراً على الأقدام. لا تخشي شيئاً. انظري فقط.
- ليست سوى شوارع صغيرة تصعد وتدور وتتقاطع، واجهات غير منتظمة وقدية سوداء من الهباب وعليها رسومات منحوتة بأيدي أطفال. الأبواب حملت علامات الزمن، يبدو عليها ترميمات حديثة، أما التوافد فقد استبدلت برميماتها الزجاجية الواح خشبية.
دوى صوت الآلات في الحي كلّه. مصنع نحاس، ومصهر الحديد، وصناعة البليطار، وصناعة الأقفال، تعددت الورش: العضلات وحدها تكتب عيش العائلات من الصباح إلى المساء. ليس هناك مكان للمرضى، وعندما يقل الصحب في الشوارع، كل فرد يرتعش مفكراً في ذلك الوباء الفتاك: البطالة.

- انظري، انظري الآن جيداً يا عزيزتي "لوسي": هنا لا توجد كبراء. إنه يؤس بكل قوته وكل ضعفه، الأكواخ تتبعها أكواخ يعيش فيها سكانها في ضيق حتى إنهم يتذمرون الأبواب مفتوحة، سترين بقايا أناث صناديق من القش للنوم، أقمشة مقطعة للغطاء في كل مكان لن ترى إلا القدرة دليل المؤس.

في الشوارع القدرة نساء في ملابس رثة يسرن ببطونهن المتتفحة ينجزن أحمالهن. فتيات صغيرات يسعلن في الم، رجال بدون عمل لا يعرفون كيف يقتلون الوقت، بعضهم الأكثر خبثاً يلجماؤن إلى التسول، ذلك لأن هناك أيضاً تجار المؤس.

لا يوجد حائط جميل لم يزل طلاؤه، ولا عجوز له مظهر غير بشع. ويسبب الاختلاط تنتشر الأمراض بسرعة. وفي كل مكان عدم الكفاية والجوع.

استطرد "جينساك" بصوت أحش.

- آه! إنها أم قوية مثل المؤس! لديها أطفال تحيفون كثيراً من الأطفال النحفاء يلعبون بقطع من الخشب في برك المياه والأحجار الذين

تقدّم "راماً" متظراً أمراً سيداً.
- هل أعددت العربية؟
- نعم يا سيدى.

- أصعد فيها، أخرجها قبلنا وبذلك ستبعل هؤلاء غير المرغوب فيهم! ستجده نحو النهر حيث ستسير بطول شاطئه، لن تعبر نهر السنين إلا عند "بون روبل". وليس قبل ذلك ثم ستعود إلى "بون نيف" بعد المعهد هذه المرة. يجب أن تغير هؤلاء للتطفين قليلاً.
لمع أسنان الهندي البيضاء.
- نعم يا سيدى، سأجعلهم يجرؤون.

أغلق الباب الخشبي الضخم خلف العربية التي خرج بها "راما"، أخذ "فيليب" "لوسي" نحو باب الخدم الصغير، تواجهان في الشارع لاحظاً عربة كانت تمر في ذلك الوقت أوقفها "فيليب".

قال لـ"لوسي": التي أصبحت بالدهشة:
- أصعدى.
- أين ستقوذنى؟
- ساقول لك، إلى "بير لاشيز".

قالت "لوسي" محارة.
- أنت ترغب - بدون شك - في أن تلقى باقات الورد على قبور "هلوبيز" و"أبيلاز" بهدف الحصول على السعادة في هذه الحياة؟
- لا، وإنني غير متأكد أن أجساد هؤلاء ترقد حقاً في القبور التي أطلقوا عليها أسماءهم.

- أوه إنك ت يريد أن تطلعني على ضعف وبوس الإنسان؟
- تقريرها، وإذا سمحت لي فلن ندخل الضريح، سنكتفي بالطوابخ حوله، ثم سترين.

بعد الحي التجاري اخترت العربية الحي البورجوازي النظيف والهادئ. خلفه يمتد الحي الصناعي بمنازله الأكثر ضيقاً والأكثر بساطة،

- ربما كنت أخرق عندما أطلعتك على كل هذا؟
هربت رأسها بلا. لقد كان محقاً عندما أطلعها على كل ذلك،
ولكن منذ ذلك اليوم لن تستطيع أن ترى العالم كما يوصف لها أو كما
يمتدحه الآخرون متجاهلين هذه الوحشية والوجه الآخر للمجتمع.
كانه يقرأ ما في نفسها، قال:

- وكذلك أنت لم تري كل شيء. يجب أن تجري بكل ضواحي
العاصمة ثم تزوري الريف والمدن والموانئ. بما أني سليل "جينساك
ليبرتي" لقد فهمت بالتأكيد ما الذي يحركني.
نعم وأعرف أن هناك مسؤولين.

قالت هذه العبارة بصوت مرتعش، وشعر "فيليب" بالسعادة لرد
 فعلها.

- مسؤول يا "لوسي"! مسؤول واحد وعد بتنفيذ العجزات وب مجرد
أن اعتلى أكبر مقعد في "فرنسا" لم يتذكر أياً مما وعد به الشعب،
وأقسم عليه. هل اهتم بالبلاد عندما فضل شركاء؟ هل اهتم بالفقراء
عندما طلب من الكيمياء الحديثة استخراج الزيد الصناعي لأنه أرخص،
هل بحث عن الآثار الرومانية عبر "فرنسا"؟!، ولكن بدلاً من أن يضمد
جراح البلاد، التي تسببت فيها الإمبراطورية الأولى، والإصلاح والملك
البرجوازي ناسبها أن الجمهورية هي التي خدمته، وفضل على سعادته
الكبارياء ومجد الحرب؛ فارسل الحملات إلى "إفريقيا" ضد قبائل جنوب
الجزائر، حملات إلى الصين، المكسيك لقد أطلق نسوره في كل مكان
دون أن يولي أي أهمية لثمن هذه النزه. عندما يرتفع معدل البؤس فهذا
لا يهمه! ويسانده الآن صاحب أسطورة الإمبراطورية الليبرالية
"أوليفييه" أزادت قوة الشرطة لتسمع لهذا النابليون الضغيل أن
يستقبل في أمان الملوك الأجانب وأن يفتح بدون خطر المعارض إنه
مسؤول إذن فهو مذنب! لقد حكم الأمر، زوجته وابنه؟ هذا لا يهمني
كثيراً فهناك بالفعل العديد من الأرامل والبيتامي! في أي لحظة قد أجده
مهما يجب أن أنفذها كذلك يا عزيزتي "لوسي".

- سمعته حابسة أنفاسها صاحت:

سيصيرون بدورهم بؤساء الغد. تتابع الأجيال وراء الأجيال. انظري،
انظري جيداً عزيزتي "لوسي" "البؤس" يقاس بالكيلو متر، انظري أيضاً إلى
هذا الشعب الذي لا يتحمل اسمها، والذين يسكنون أكواخ الآرانب،
هذا يعيش من ذلك، بؤس من بؤس، آه يا صديقتي المسكونة! هنا لا
قيمة إلا للأخطاء، والعيوب تسمى مزايا، السرقة جهد، والجريمة فضيلة،
حول هذه الشوارع تطوف الساقطات المشوهات أو المريضات اللاتي
يحاولن إخفاء فقدنن لجمالهن.
وصلت "لوسي" إلى قمة تعاطفها، أرادت أن تخلي مجدهاتها.
أخذ قلبها يدق بعنف من شدة التأثر.
همست: وهي تحتمي برفيقها والدموع في عينيها.
هذا بشع بشع.

- نعم وفي الأفق ليس هناك سوى الموت. لكن الكونت نظر إلى
ـ "لوسي" مشفقاً، لقد دهشه شحوبها كما خشي أن يكون قد تجاوز
حدود الحساسية، وعلى الفور قرر إنهاء هذه النزهة الكثيبة. في مكان
محدد وجد عربة خالية وعلى الفور نقلتها في هدوء إلى شارع "سان
أونوري".

قبل أن يدخل إلى منزله أشار الكونت بعصاه إلى رجلين يتحدون
في ود.

قال لرفيقته:

- انظري، هذان جاسوسان لـ "موراتي" مهمتهما مراقبتي، أجلس
ـ "فيليب" "لوسي" في الصالون. أحاط يديها بيديه.

- ألسنت متبعة؟

- لا.

- مضطربة؟

ضمت يديه وارتعشت شفاتها.

- جداً أوه يا "فيليب"! يا له من بؤس، من الما

كلمات غريبة حملت تهديداً، في جزء من الثانية مرت بذاكرتها صورة "rama". هل هو الذي قال لـ"ماري الجميل": "أخبرني سيدتك أنها إذا كانت تخرص على حياتها لا تتوارد في طريق الكونت دي جينساك"؟
ما أهمية أن تعرف من الذي نطق بهذه الكلمات؟ صديق؟ عدو؟.
كانت "لوسي" تعرف أن الموت يحوم حولها لكنها ماخوذة جداً من غب حتى إنها لا تستطيع أن تراجع.

قالت له في حمام:
- أقسم لك أن أؤمن بك دائمًا يا حبيبي!
أخذ "فيليب" العلبة وأعادها إلى الخزانة التي أغلقها بعناية وعادت الابتسامة إلى شفتيه.
قال:

- الآن سأعد العربية، أنتي بإعادتك إلى بيتك وتحية أسرتك، كما يجب أن أخبر والدك بمشروعنا، أليس كذلك يا "لوسي"؟
- أوه بلى يا "فيليب"!

غادراً الحجرة مشتبكين اليدين، لكن في اللحظة التي عبرا فيها الردهة توقف "فيليب" أمام باب كبير قائلاً:
- هذه أجمل غرفة في منزلي. من الطبيعي أنها ستكون غرفتك.
تقدمت "لوسي" في الغرفة المضادة من خلال نافذتين كميراً.
اثاث رائع. سرير جميل طراز "لويس السادس عشر" مقاعد من نفس لون الحوائط.

قالت الفتاة:
- إنها جميلة جداً كم سأكون سعيدة في هذا المكان. متى أخذ "فيليب" يدها وقبلها.
- "لوسي" يا حبيبتي الرقيقة.

من جديد لاذت بحضنه. نظرت إليه بكل حب وتمتن:
- لو تعرف كم أحبك.
نظر إلى شفتيها الورديتين ليس بتلك النظرة البريئة التي كانت منذ

- صدمة يا "فيليب"! إبني أحبك. أقسم على أن أكون لك مهما حدث، أن أتبعك، وأن أكون إلى جانبك في الخطر كما في الأوقات السعيدة.

كما هي جميلة وهي منفعلة، تنضم إلى قضية من تحب.
- "لوسي"!

- إبني سليلة "سان سيلفستر".
محظوظ عيناها الحضراون الجميلتان، تقدم إليها الكونت وأنهضها وضمها بين ذراعيه في حنان.

ثم فرحاً أخذ يدها وقادها إلى الطابق الأول في المكتبة ذات الحوائط المزينة باللوحات النادرة، أسرع نحو خزانة في ركن في الفلل من هذه الحجرة الكبيرة. أعمل المفتاح بسرعة ففتح الباب ببطء.
على أحد الرفوف من الممكن رؤية علبة طويلة من الجلد الأحمر بين علب أخرى.

- هذا ما سأعطيه لك عند خطوبتنا. تعرفي على المحتوى، فتحت الغطاء فرات قطعة مجواهرات لا تقدر بثمن.

- عقد المهراجا.
هدية من فخامتها!

من الذهب والزمرد، إنها قطعة فنية رائعة من صناعة المجواهرات الهندية. هبة من المهراجا "أدريانا" موضوعة على بطانة من الحرير.
انهارت "لوسي" وطار قلبها فرحاً، تمنت:
- إنه جميل جداً!

- لا شيء يوازي جمالك يا "لوسي".
لن أجرؤ على وضع مثل هذه المجواهرات وهناك العديد والعديد من البنوءاء.

عادت قسمات "جينساك" إلى الجدية.
- اسمعي يا "لوسي"، ستصعينه، إبني حريص على ذلك. ستصعينه حتى في حفل الأورها يجب ذلك. لكن مهمًا حدث عديني لا تشكي في.

- أبدا يا فيليب .

كان في صوتها وعينيها تصميم لم يجد القوة على مقاومته . كل ما حدث بعد ذلك كان خيالا ، حلما في دوامة العواطف امتنج الحروف بالسعادة بالترجس والفرحة . في نفس المساء عادت "لوسي" إلى منزلها ، نظرت طويلا إلى المرأة . ودهشت لتجد أن وجهها كما هو ولكنها أصبحت أخرى .

فكرت : إني امرأة *

شعرت بأنها أكثر قرفة عندما فكرت في ذلك .
لقد توحدت هي وفيليب حتى الموت . لا شيء سيستطيع أن يفصلهما أبدا .

في اليوم التالي في مكتب رئيس الشرطة علم "موراتي" في تقرير طويل خط سير الآنسة سان سيلفستر فشعر بخيبة أمل كبيرة .
يجب أن تتحرك "صوفي دالبان" بسرعة حتى يهدا مساعد رئيس الشرطة قليلا .

قليل ، وهما يتحدثان عن مستقبلهما ، ولكن بنظرة العاشق الذي تحملكته رغبة الاستحواذ على حبيبته . أغلقت "لوسي" عينيها مستقبلة قبله الحرارة بعد أن تحول اضطرابها إلى خدر حتى فيليب فقد تخلى عن رصانته مستسلما لحنانه . ولكنه يدرك مدى الخطير الذي يهددها . رفع رأسه وقال :

- لكن علاء .

نظرت إليه بعيدين غائبتين :

- فيليب "

انضم إلهي أكثر في هدوء ولكن بحزم دفعها .
- عزيزتي إنه في ذات الوقت رائع وخطر جدا أن أضنك هكذا إلى صدري .

- لماذا خطير ؟

- لأنني رجل ويجب أن أجاهد ضد حبي .

أضاف عندما رأى أنها تنظر إليه بشدة .

- لا تعجبني مني .

ساد الصمت بينهما ، تسارعت أنفاس "لوسي" وأخيرا قالت :

- فيليب ، عندما جئت إليك قمت بخطورة لا تجرؤ أي فتاة أن تفعلها وطلبت منك أن تكون زوجتك لأنني أعرف أن مجتمعنا يطلب في هذه الحالة موافقة رسمية . لن تسمح لك الظروف بمواجهة هذا الزواج في الحال ، فقد نظرا أحداث كثيرة ، وكذلك أرى أنني سأكون غير جديرة بأن أصبح زوجتك إذا ، مع علمي بكل الأخطار التي تحبط بك .
تعجلت لحظة زواجنا مثل أي خطيبين ، فيليب حبنا به شيء خاص ، أمام هذا الحب الاعراف الاجتماعية غير مقبولة كذلك ، أريد منذ هذه اللحظة أن أهبك نفسي .

أمام هذه الكلمات شعر "جينساك" بالاضطراب ، رأى عينيها الدامعتين . أحاطها بذراعيه ولاحظ تسارع دقات قلبها .

على الرغم من اضطرابه فما زال به بعض الشك

- عزيزتي لا أعرف إذا كان لي الحق ، وكذلك ألم تندمي ؟

الفصل السابع

- يا ابن العم، ما حال الخشب مع الرحي؟
- ما زال أخضر.
- كيف تجد الشجرة الضخمة؟
- عالية تقريباً

على كومة صغيرة من الأحجار اتبعت ضوء ضعيف من مصباح. المكان مظلم جداً، وفي هذا الركن من الغابة الذي لا يسمع فيه سوى تغريد العصافير وصيحاتها من آن لآخر عبر المرات التي يسلكها الخطابيون جاء في هذه الليلة رجال المدينة.

لم يكتمل عددهم بعد، إنهم حوالي عشرة يتحركون في بطء في الضوء الخافت، وأسماعهم حساسة لاي صوت كانهم يخشون مفاجأة، وعلى بعد مسافة صغيرة يحيطهم حرس من الرجال متاكدين أن الظلام لا يكشف عنهم.

كان أول الحاضرين رجلاً يبدو أنه ذو نفوذ حيث إنه يسأل كل آتٍ عن الأخبار، إنه رجل طويل له شارب ضخم.

من النظرة الأولى يعتقد أن ملامحه غير معروفة. وبقليل من التخييل بنزع هذه الإضافات من شارب وسالفين كثيفين سيكون من السهل التعرف على هذا الرجل الذي منذ أربع وعشرين ساعة قابل الكونت في الحديقة وقال له:

الاجتماع في الغابة

في الواقع عقد الاجتماع في غابة "ميدون" في مكان يدعى "حجر الكاهن"، لأن هذه الحركة الثورية كانت تتوكى الخدر في اجتماعاتها فتعقدتها تحت الأشجار في غياب الشمس.

هذا الاجتماع ليس اجتماعاً عادياً ولكنه اجتماع مركزي. به عشرون من الأعضاء موقدون من "باريس" من جماعة الـ"كاربوناري". تدعى "الغاية الباريسية" بذلك فإن كلمة السر "الغاية". جاء المجتمعون في جماعات سالكين طرقاً مختلفة لتضليل أي

محاولة من البوليس لتعقب آثارهم.

خشيت الطبقة الحاكمة حركة الـ"كاربوناري" لافكارها الثورية وأضحت بالنسبة لهم فزعاً كبيراً. الآن اتخذت هذه الحركة أسلوباً أكثر حذراً إذ لا يلتجأون إلى كتابة أي شيء على الورق فهم يتناقلون الأوامر مباشرة من الفم إلى الأذن.

كانت الحركة تعرف أن الإمبراطور قد خرج من صفوفهم وأن الحكومة تجاهد مثل باقي الحكومات لتشغل حركة عمال الفحم في فرنسا.

ولكن لم ترضخ الحركة وراحت تهاجم جواً وبحراً ضد الشرطة والداخلية، وقد شهدت العملية الأخيرة لقتل "أورسيني" المسكين الاذهان إلى الربط بين أي جريمة لا يوجد تفسير لها بالجماعة.

عندما دقت أجراس أقرب قرية للغابة السابعة الخادية عشرة والتسعين كانت كل الوفود حاضرة وملتفة حول المصباح.

بدأ الرجل ذو الشارب في الحديث.

- ابن العم "جوزيف".

- جاهز، جاهز دائماً!

بصوت منخفض أكمل نداء الحاضرين.

- ابن العم "جاكومو".

- حاضر دائماً.

تحدث الرجل مغلق العينين وأحكمت الدائرة أكثر فأكثر، ولكن عند الاسم التاسع عشر رفع عينيه ونظر إلى الرجل الذي يناديه.

- ابن العم "فيليب"؟

- حاضر دائماً.

أجاب الكونت "دي جينساك" في حماس خارقاً الصمت الذي يحيط به، وبعد لحظات بدأ الرئيس في الحديث.

أبناء عمي الطيبين تستند الإرادة في ذاكرتكم صورة "بازارد" مؤسستنا الخالد ومعلمتنا جميعاً الذي رحل منذ ستة وثلاثين عاماً، لستقي من هذه الصورة القوة اللازمة لتنفيذ مهامنا التي قد تتطلبها

سليل "جينساك ليبرتى" سيتم إخبارك في الوقت المحدد.
أجابه صوت "فيليب" الأجهش.
- لتكن إرادة جمعية الفحامين! شكرًا.
عندئذ رفع الرئيس المصباح وحركه ثلث مرات وصفر. ظهر رجالان
يحملان رجلا ثالثا مكبلا بالحبال وعيناهلامعتان من الفزع في الظلام،
تقديم الرئيس:
- من هذا؟
- إنه عميل "مورانى" إنه يراقبنا.
امتد الصمت فجأة على الجميع كأنها علامات استفهام تراجيدية.
أخيرا أمر الرئيس:
- القانون هو القانون فليطبق! ابن العم "جاكومو" سينفذ!
من جديد ساد الصمت ولكن صمت ثقيل.
ابتعد "جاكومو" مع الرجلين الآخرين ومعهم المذهب ممسكا
بمسدسه.
قال الرئيس جائيا على ركبته على الأرض:
- أولاد عمى الطيبين، سيموتون، سيموتون رجل، لنصل من أجل روحه! حول
شعلة المصباح الخافتة اجتمع الرجال.
عندما عاد "جاكومو" تصادق رجال الجماعة ثم تفرقوا في الغابة
سالكين "كلامار" أو "ميدون" أو "سيفر" حتى يأخذ كل منهم طريقه
إلى "باريس".

حركة عمال الفحم وهو الاسم المراد للحرير! فكروا في شهدانا
واخيرا كان "قبلكس أورسينى" الذى مات في شجاعة، وإن لي بالغ
الشرف أنني تعرفت إليه.

صمت الرجل متذكرة هذه الذكرى المؤلمة ثم استطرد حديثه. شرح
 أنه إذا كانت مخططاتهم تفشل بالتصادف فإن النتائج ليست بعيدة
 التحقيق، ولا يمكن إغفالها بما أن حركة الـ"كاربوناري" تؤكد من
 خلالهم حيويتها ورغبتها في العمل حتى الوصول إلى الهدف النهائي؛
 ونتيجة لذلك فإن من يسقطون من المؤكد أنهم سيعيشون في الأذهان
 وسيكونون موضع تشريف وأمثلة يحتذى بها.

بعد ذلك وصف "فرنسا" بالنسبة للعالم وأوضح أنها، بأمر
حاكمها، تبدد طاقتها بينما تجتمع السحب في "أوربا".

صرح رافعا صوته قليلا:

- قررت جمعية الفحامين في اجتماعها الأخير توجيه ضربة كبيرة
ولقد أخير المنفذ، ولكن لينفذ هذا الأمر بشكل جيد وجدت الجمعية
شراء بعض القسمائر وسيلزم هذا بعض الأموال.

فجأة توقف عند سماع صخب. أخذ المصباح وخفض الشعلة ثم
 أمسك المصباح وخبأ تحت معطفه.

في سكون الظلام استمر صوت المعركة البعيد. عقد كل عضو من
أعضاء الجمعية يديه في انتظار.

استمر هذا الوضع حتى تغير العدلية. على الفور ظهر المصباح
 واستطرد رئيس الاجتماع حديثه وكان شيئا لم يكن.

- وهنا بالضبط يا ابن العم "فيليب" سيخدمنا عقد الهدنة. لقد
حصلنا على الخمسة ملايين من لودون، وسيتمكننا استعادة العقد،
 وستستطيع تلك التي تحبها أن تتأمله في عليه.

- أعرف يا ابن العم.

- نعرف يا ابن العم "فيليب" كرمك من خلال ابن العم "جاكومو"
الذى يسهر على حراستك، لكن جمعية الفحامين تتطلب المزيد:
اختارتك لتلجم إليك فى الوقت المناسب؛ لأنها تعرف شجاعتك؛ ولأنك

الفصل الثامن

الرسمية وهو يمتطي الحصان فإن رفيقه "دي شانسي" على العكس فقد ارتدى ملابس مريحة ويسليطة في الحدود التي يسمح بها مجتمع كبار الإمبراطورية.

انتفخ وجهه بالدهن الأصفر، حاجباه وشارييه منتظمان، يضع على شعره المجدل قبعة من اللباد الأحمر في طرفها الملفوف شريط أخضر مربوط بعنابة، سترته الحمراء المفتوحة تكشف عن صدار مزرك حتى العنق وعليه رباط عنق أخضر به دبوس في مؤخرته ماسة. البنطلون من نفس لون السترة في نهايتها حذاء بربقة طويلة من الجلد الأحمر.

بدون توقف كان يجبي التريضات الجميلات بابتسامة أو يصافحهن بيده بينما بدا "جينساك" غير واع بما يدور حوله. قال "شانسي" :

- عندما انظر إليك وانت ساكن ومفكرك هكذا لا استطيع ان امنع نفسي من التفكير في أنك كنت مولعاً بركروب الزوارق. الا توحي إليك بشيء زوارق البحيرة؟ لقد رأيتكم كثيراً تمارسون رياضة التجديف على سطح نهر السين. هل تعرف أن أصحاب القوارب يسألونني عن أخباركم كثيراً؟ أما أنا فمازالت أستمتع بركروب القوارب ذات المباديف أو الشراعية، وذلك في "ميزيون لافيت" أو في "شاتو". إني أمتلك قارباً يدعى "بيل هيلويز" ساقده غداً إلى "بوجيفال"، قال لي الكبير من أصدقائي إنه مكان جميل جداً. أتمنى أن تسعدي بركروب "بيل هيلويز" في يوم ما قريباً.

- بالتأكيد.

فجأة أبطأت العربات وتتحت جانباً مفسحة وسط الطريق. إنه البرنس ولـي العهد الذي يتنزه مع والدته وإنحدـي سيدات الحاشية. يتبعه سائسه وسائل الإمبراطورية ومعلم الفروسية. مر ولـي العهد في خجل محاولاً إخفاء خجله باهتمامه بحصانه، بدت الإمبراطورية على راحتها توزع الابتسamas على المترهـين الذين خلعوا القبعات عن رؤوسهم والمتزهـات اللاتي انحدـن. لوى "شانسي" بقيعته بحماس حتى إن الأسوار التي يلبسها في يده يعني أحدثـت رنينا عالياً، أما "جينساك" فلم يهـترـ.

في نهاية هذا اليوم كان الجو بارداً وعلى الرغم من ذلك، بما أن الشمس كانت مشرقة، تواجد حشد من الناس في شارع "دي بوا" حيث تنافست الخيول والعربات في أناقتها.

- "جينساك"!

- "شانسي" .

هذا النداء أوقف الفارسين في المسر الرملي. حاول "فيليب" أن يحتفظ بهدوئه.

صاح "شانسي" في اندفاع:

- بالله يا عزيزي الكونت منذ دهر لم يرك أحد تمتطي الجياد في غابة "بولوني" حصانك رائع! هل هو إنجلزي؟ سامحني إذا قلت لك ذلك، لكنك شخصية غريبة. حتى رحيلك إلى الهند كنت تعيش حياة باريسية عادلة، ومنذ عودتك لم يعد أحد يراك في نادي "جوكي" ولا في "بوليغارد". أعرف أن باتساع السكك الحديدية لم تعد باريس ملكاً لهؤلاء الذين ولدوا فيها. ولكن على الأقل! دعنا نظر حول البحيرة.

اذعن "فيليب" ممسكاً بلجام حصانه.

- طواعية.

استطرد رفيقه:

- علمت أنك خطبت.

- نعم. وفي سرية تامة. اسم خطيبتي الآنسة "سان سيلفستر" إذا أردت أن تعرف، ولكنني أعتبرها وقاحة بالغة أي تصريح بهذا الخبر.

- تهاني يا عزيزي.

تابع الفارسان طريقهما عند حافة البحيرة. بالقرب منها سارت في صف متعاقبة عربات براقة، وحافلات فخمة تجرها الخيول. إنه وقت الأصيل حيث تخرج الطبقة الأنيقة من المجتمع للترويض وتبادل التحية. إذا كان الكونت "دي جينساك" قد حرص على التمسك بالملابس

ثم أضاف بصوت منخفض:
- يا ابن العم هذا المساء في الأورا إني أخبرك بأن تكون خطيبتك
مرتدية العقد.

- ابتعد الرجل بخطى غير ثابتة. عاد الكونت إلى حصانه. عندما
تابع شارع "سان أونوري" مفكرا في رقبة الآنسة سان سيلفستر"
الجميلة التي ستحمل عقد المهراجا "أدريانا". ثم تلاشى العقد وبقي
 أمام عينيه وجه "لوسي" الجميل وقسماتها الرقيقة وبدوره يتلاشى وجه
"لوسي" ليتوقف حصان الكونت أمام باب المنزل.

- رأى "راما" يجري إليه من بعيد يبدو عليه الانفعال.
- سيدى! السيدة دالبان تنتظرك، يبدو أنها تريد روحك بغاء
الصبر.

كان لهذا الخبر وقع مقاجأة غير سعيدة بالنسبة للكونت. على الرغم
من ذلك عبر الردهة الطويلة ودخل باب الصالون طاردا أي اثر لانشغلته
وقلقه ورسم الفرحة على شفتيه.

- سيدتي العزيزة كيف حالك؟ كم هو لطيف أن تأتي.
غطى وجهها الجميل المتورد من الفرح طرحة بنفسجية تتدلى من
القبعة.

- لو تعرف يا "فيليب"! أوه لو تعرف.
أنسل الكونت يدي الزائرة الجميلة وبرفق حاول تهدئتها، وعندما
لم تجد على استعداد لمشاركة هذا التفاؤل، سالتها:

- لكن ماذا هنالك يا "صوفي"؟
- "فيليب"، لو تعلم
زفرت ومسحت دمعة.
استطرد "فيليب".
- ماذا بك؟

روت له عن الألم الذي شعرت به عند إعلان خطوبته.
همست بشفتيها الجميلتين.
- آه! إنها سعيدة طبعا الآنسة "دي سان سيلفستر".

- إنه ساحر، هذا البرنس الصغير؟ يا له من فارس! ماذا يا صديقي
النخبة؟

أجاب "فيليب" بصوت عال:
- لا، أنا لا أعرف هؤلاء الأشخاص. لم أتقدم لهم أبدا. لماذا أقدم
لهم التحية إذن؟

بدت الدهشة في عيني الآخر:
- لكن، لأنك فرنسي بالإضافة إلى أنك نبيل.

- هذا صحيح، وصحب أيضا أن "لويس الخامس عشر" الذي لم
يكن يعتقد إلى الصواب، قال أمام كبار سادة حاشيته إنه ينحدر من
عطار مجهول من القرن الثاني عشر.
- أنت تهذى.

ارتسمت على شفتي "فيليب" ابتسامة ساخرة.
- لا، إني أمزح هنا يا عزيزي "شانسي" يختلف طريقنا إلى اللقاء.

- هل ستاتي للتجديف في "بوجيبال"؟
- نعم. مستقابل.

قال "شانسي" الذي أراد وعدا بلقاء آخر.
- هل ستذهب إلى الحفل الراقص في الأورا هذا المساء؟

- نعم مع خطيبتي، ساقدهما لك.
- إلى اللقاء يا "جينساك".

خرج الكونت مسرعاً ممتطياً حصانه وقد أصابه السام من غرور هذا
الرجل الذي كان رفيقاً لا ينفصل عن الدوق "موراني" الذي مات.

وصل إلى "سان أونوري" في اتجاه منزله وأمام كنيسة "سان فيليب
دي رول" اندفع عامل له لحية وعلى رأسه قبعة في حالة سيئة ليعبر
الشارع، كانت حالته سيئة جدا حتى إنه تعرّض وسقط. أوقف "جينساك"
حصانه. قفز إلى الأرض وأنهض الرجل وسأله:

- هل أصبحت بسوء؟
أجاب بصوت مرتعش:
- لا، شكرًا أنا بخير يا سيدى.

استعاد "فيليب" هدوءه ورفع كتفيه في ازدراه.

- ماذا اكتشفوا في غابة "بورجوني"؟
- في غابة "ميدون" بالتحديد في "بيير أو موان" لقد اكتشفوا جثة أحد رجال الشرطة الذي كان يعمل من أجل "بورجوني". والذي كان يراقبكم إذن.
- حقاً؟
- داعب "جينساك" سلسلته لاهيا وهو لا يزال يشعر بالازدراه.

استطردت "صوفى".

- كان الرجل موئقاً بالحبل، هذا يعني انك لم تكون بمفردك ولقد أطلق عليه الرصاص في الليل. المسكين كان قد ترك رئيسه نحو السابعة مساء وفي صباح اليوم التالي تم اكتشاف جثته عن طريق ضابط الموارد المائية والغابات أثناء جولته.
- مال "جينساك" فجأة نحو زائرته:
- ما علاقتي بهذا القتيل؟ وخاصة بغاية "ميدون"؟
- مالت السيدة "دالبان" نحوه وقالت:
- هل تعرف من الرجال الذين اعتادوا الاجتماع في الغابة ليلاً؟
- أخفى "فيليب" انتهاء صبره بصعوبة.
- لا اعرف على الإطلاق.
- أصدقاؤك الفحامون، جماعة "كاربوناري" أنت مخطئ بعدم وثوقك بي. إني حليف آمن أكثر مما تفكرون.
- أخذ يضحك.
- لكن لم يعد هناك حركة الا "كاربوناري" الجميع يعلم انها انتهت. تركت "صوفى" مقعدها وعطرها يتبعها واقتربت من "جينساك" ووضعت يدها على ذراعه.
- وأورسيني؟ وأصدقاؤه؟ والذين يحفظون ذكراء؟
- أوهام يا عزيزتي خيالك يخونك، وكذلك السادة رجال الشرطة، أما فيما يتعلق بي فأنا لا أذهب أبداً إلى غابة "ميدون" إنها بعدها تماماً عنى.

نظر إليها "فيليب" متهمكاً فهو يرى أمامه الآن واحدة من أجمل سيدات العاصمة، كانت تعامل معجبها بازدراه وتلاعب بهم.

استطردت "صوفى":

- لكن لن تستطيع أبداً أن تحميك. الوقت يمر يا "فيليب"!
- كن حذراً
- ماذا تقصددين؟
- انتصبت السيدة "دالبان". عادت إلى طبيعتها المتعالية المترسمة على ما يجب أن تفعله لجذب انتباه رجل رصين أو إشعال الحب في قلب شاب.
- بصوت مرتعش من شدة العاطفة تحدثت وتذللت بينما فكر "فيليب":
- "صوفى دالبان" أرملة صاحب البنك الذي أصابه الشراء بسبب المضاربة على الأراضي. امرأة مرغوقة، الجميع يتوددون إليها، جميلة، سيدة الحظ، لأن "جينساك" يحتقرها، مشيرة للشك لأن "مورانى" يراقبها، صادقة لأنها تصرخ بصراحة، غير مفهومة؛ لأن لها دائمًا نيات منتحلة. هذه المرأة تذلّل أمامي.
- في الواقع وضعت "صوفى" يدها على قلبها كأنها تريد أن تسيطر على دقاته قالت:
- أمامك امرأة قتلتها. وعلى الرغم من ذلك تهرع إليك هذه الحمقاء وتأتي والليل في الأفق إلى شارع "أونوري" لتتحذرك أيها القاسي بآن الشرطة قد وضعت بورجوني في أعقابك.
- في هذه المرة لم يستطع "فيليب" أن يحتفظ بهدوئه:
- بورجوني؟ لماذا بورجوني؟
- صمتت "صوفى" ثانية، رمقت "فيليب" بنظرة مسيطرة. هل استعادت فريستها؟ وزنت كل كلمة تفوهت بها.
- يبدو أنهم حصلوا على معلومات مدهشة في غابة قريبة.
- اكتشافات يسعدك بدون شك أن تعرفها.

- أنتظر إجابة.
هرت السيدة "دالبان" رأسها.
- تريدينني أن أتذلل لك؟ فليكن! في الوضع الذي أنا فيه لم يعد هناك شيء أفقده.

قال بصوت متجمد:
- هذا صحيح.
قالت:

- أنت تعرف يا "فيليب" أنني مازلت أحبك.
رفعت رأسها وبحثت عن عيني "فيليب" كانها تبحث عن تشخيص ولكن نظر هذا الأخير في ثبات إلى النمر البرنزى الموضوع فوق الطاولة التي توسيطت النافذتين. أمام عدم اهتمامه شعرت "صوفى" بالإهانة والحزن همست:

- "فيليب" ، هناك ذكريات لا يمكن أن تنساها.
لم تتحرك أي عضلة من عضلات وجهه. عندئذ جرأت واقتربت منه وأحاطت عنقه بيديها وناوحت:
- ما زلت أحبك لو تستطيع أن تعرف كم انتظرت عودتك.
كم تبرع في أن تكون جميلة ومرغوبة عندما تنظر إليه بعينيها الساحرتين.

شعر "فيليب" بأنه استعاد إحساسه القديم بالنشوة عندما كان ينظر إليها ويتلذذ بمذاق شفتيها، وكم كانت تلك المرأة التي تفتقر إلى الحياة.

- يا حبيببي لا تردني لقد حلمت بتلك اللحظة كثيرا. رأى "فيليب" تسارع نبضها وشعر بحرارة هذا الجسد الذي لم ينس خلوه من أي عيب.

بين العديد من العشيقات اللاتي عرفهن "فيليب" كانت "صوفى" الأكثر فتنة. توافق على ذهنه فجأة بعض مشاهد لقاءاتهما الحميمية. في هذه اللحظة شعر أن إرادته تهوي.
احتاط كتفيها بذراعه. اهتزت "صوفى" من شدة العاطفة فجذبها

تحرر من قبضتها في رفق ووقف يفصلهما طاولة.
- نعم. تفضل الذهب إلى الهند. إنها أكثر قربا بكثير وتحضر منها هدايا غالبية كثيرة مثل الحجر الكريم الداكن المغطى بالنقش الذي اعتدت ارتداءه انظر الم تعد تلبسه؟
 وأشارت إلى اليد اليسرى للكونت.
- بلى. ولكنني تركته اليوم في غرفتي.
أمرت:

- هل أنت متاكد؟
- تماما.
استطردت "صوفى":
- حسن يا عزيزى الكذاب، ساعترف لك بالحقيقة: قبل اكتشاف الجثة باربع وعشرين ساعة تم العثور على خاتمك (أنت تعرف أنك فقدته ليلا) في غابة "ميدون". التقى صاحب قارب في مجرى "تريفو" هل تعرف أيضا أنك فقدته وأنت في طريق العودة؟ ولقد سلمه هذا المواطن الأمين إلى الشرطة، وهو الآن على مكتب "مورانى" مساعد رئيس الشرطة الذي يكرهك من كل قلبه؛ لأنك أخذت منه الآنسة "دى سان سيلفستر" والذي خصك بشرف كبير بان فتح لك ملفا خاصا.

- أعرف كل هذا
 أمسك "فيليب" قبضتي يدي السيدة الشابة وضمها بعنف وثبت عينيه في عينيها الخضراوين وقال:

- أي لعبة تلعبين؟
ارتعدت "صوفى دالبان".
- أوه فيليب! فيليب! أنا
لم تستطع أن تكمل، تكسر صوتها رفع "جينساك" يديه.
زفرت "صوفى" وهي تبتعد:
- ناكر للجميل! قاس.
قال الكونت محاولا أن يستعيد هدوءه.

فقيرين، وكانت شابة ويناءة، وأعجبت صاحب البنك. كتب السيد دالبيان إلى والدي واقتصر عليه أن يكتسب ثروة بسرعة فإذا قبل أن يقوم له بعض الأعمال التي أكد له أنها ليست خطيرة وفي المقابل طلب منه ابنته.

قال "فيليپ" بصوت ماسخر:

- لا اعرف ما يهمني في هذه القصة التعسة لاسترك والتي يجب ان تتحللي بالحياة وتحتفظي بها لنفسك.

توقفت صوفی وقالت في الم:

- بما أنك تقول لي ذلك اكتشف والدي أنه مذنب، وعندما تعب من التدم، وضع والدي ضميره جانباً وفي وقت قصير أصبح بالغ الشراء، وزوجني للسيد دالبان". بعد عام من زواجي هلك والدائي في الحريق الذي شب بمنزلهما في شارع سيفر وورث كل ما خلفاه. وهذا الخطاب عن صفة السيد دالبان الذي حصل عليه واستحفظ به سوراني والآن أنت تعرف كل شيء يا فيليب، صمتت السيدة دالبان.

تدحرجت دمعتان كبيرتان على خديها مؤكدين صدق روايتها، فجأة اختفت السخرية من وجه فيليب . تغلب عليه الإحساس بالشفقة نحوها قال بصوت حان وعميق:

- أيتها المسكينة صوفي ! كم تعذبت ! مالم يكن مقدراً لي أن
أحبك كزوجة أو كعشيقه فهل تسمحي لي أن أحبك كصديقة
عزمت ؟

ثُمَّ قَالَ:

- هل ما زال يحتفظ بهذا الخطاب في حافظته؟
- نعم.

— حسن يا سيدتي، أنا الذي سارده لك.
انزعجت، قرأ المخواf في عينيها الجميلتين.
— لكن هذا مستحيل يا "فيليب".
— بلى، سيكون ذلك سهلاً جداً.

إليه. شعر "جينساك" أنه قد هزم من خلال أهدابها المنسدلة. راقبت صوفى ما حفقت من انتصار. عندما سيعود إليها عشيقها لن تشک في أنها ستكون قوية بدرجة كافية حتى تجعله يفسخ خطوبته، لكنها أرادت أن تحصل على هذا الوعيد قبل أن تسلم نفسها، وعندئذ سيكون انتصارها منقطع النظير.

رأى نظرة "فيليپ" المتقدة بالرغبة، لن تجد أفضل من هذا الوقت حتى تحصل على ما تريده.

تخررت فجأة من حضنه وقالت:

- حبيبي، أقسم لي إنه بعد ذلك سينتهي كل شيء بينك وبين الآنسة دي سان سيلفستر إنها ليست عندما سمع اسم "لوسي" انقضت فيليب لقد عاد فجأة إلى نفسه. كيف استسلم إلى محاولتها إغواءه؟

بصوت بارد قاطعها:

- إن، أوف عليك أن تعطيني، دائمًا فيها.

أدركت "صوفي" سوء تصرفها. هذا العشيق الذي كانت تأمل استرداده قد فقدته للأبد. لقد بدا قراره على قسمات وجهه. إنها تعرف فليليب ، إنه قاس وسيبتعد عن طريقها، شعرت بوخزة ألم في قلبها

- كم كنت أتمنى أن أبقى صديقتك! ولكن حتى هذا لم يعد ممكنا لأن القدر أراد أن أتعرف إلى السيد "بيترى" رئيس الشرطة ومن خلاله السيد "دى مورانى" مساعدك عدوك أعطاني الأمر. نعم أعطاني الأمر باغاثتك شـ الليلة ما يضحك.

توقفت مرة أخرى متقطرة رد فعل "جينساك"، ولكن بقي وجه الكوتوت بدون أي تعبير. عقد ذراعيه على صدره ونظر إلى "صوفى" كأنه قاض، عندئذ استطاع دلت:

- دی مورانی یه‌هدنی. انه يحتفظ بعنایه في حافظته بخطاب من زوجی. هل تذکر أراضی مونتولون؟ کان السيد دالبان ناجحا في عمله، ولكن کان يلزمہ رجل يستخدمه کستار. کان والدای

عقدت يديها.

- كن حذرا! إنه لا يحلم سوى بآن يضعلك في السجن.

اقربت منه "صوفي".

- لقد كان الوقت لكي انصرف على الرغم من السعادة التي أشعر بها في رفقتك. لن أراك في الأوربا هذا المساء. لكن سيمكون "موراني" هناك.

امسك بين يديه يديها الصغيرتين

- سأعمل حساب ذلك جيدا.

- إلى اللقاء يا "فيليب" كن حذرا. حذرا جدا.

رفعت رأسها في حركة داعية إلى قبلة وداع على شفتيها الرقيقتين ولكن تماهلاً "فيليب" هذه الدعوة وطبع قبلة على فقازها.

- لك كل إعزازي يا "صوفي".

قادها إلى الباب. تبعها خادم حتى الباب ومحاجد أن اختفت، نادى "راما". لم يات "راما" ولكن حضر رجل أسمره شارب ضخم:

- جاكمو!

اجابه الرجل في لهجة إيطالية:

- هو نفسه، لقد تركت المطعم في شارع "دي شايو" لكي أحبيك.

- لقد جئت في وقتك.

- حسن.

تقدمه الكوكتن نحو السلم الرخامى الكبير.

- ستصعد إلى المكتبة.

- لماذا يا ابن العم؟

قال له "جينساك" بصوت منخفض.

- يجب أن أشرح لك بالتفصيل عملا صغيرا مستندته مع "موراني" هذا المساء.

الفصل التاسع

- ياله من مظهر جميل: ستكونين ملكرة الحفل.
كان ذلك أيضاً رأي السيدة "وروث" التي نصحتها قائلة:
- ستضعين في شعرك شريطاً من نفس الحبيب كما تضعين الورد في
خصلاتك الشقراء.
 تركت "لوسي" بيت الأزياء راضية. سيمستطع "جينساك" أن
يكون فخوراً بخطيبته.
منذ هبوط الليل ومجموعة من رجال الشرطة تفتش العربات
وتحتفظ في إبعاد الفضوليين من شارع "لوبيليتيم" ذلك لأنه على
الرغم من البرد فإن المتسكعين كثيرون. في ضوء الفوانيس المهترئ أراد
هؤلاء المتسكعون مشاهدة الفساتين والمجوهرات الأنيقة. كما أعلن
عن قدمه الإمبراطورة.
ومن ناحية أخرى لم يعرف حفل الأوبرا - الذي عرف هذا العام
بـ "حفل الإمبراطور" - مثل هذا النجاح.
إن الصالة والمسرح منضمان على أرضية ثابتة واحدة مكونين ساحة
كبيرة ولكن الحشد كبير جداً حتى إن الراقصين لن يستطيعوا الحركة
بشكل مريح. وقد تعلو أصوات الضحكات على صوت الآلات
المusicية. الجميع يمرحون ويصيحون ويرقصون بينما في الداخل كما
في الخارج الأخطار موجودة.
كل الأروقة مشغولة ب الرجال وسيدات في ملابس فخمة، سيدات
جميلات يضعن الشرايط والورود في شعرهن، وتزينهن المجوهرات.
تواجه هنالك كبار الموظفين، بعض العائلات الكبيرة، العسكريون،
رجال الصناعة، أصحاب البنك، الكتاب، الفنانون، الدبلوماسيون
ومعهم رجال المسرح، الراقصات، التجار ورجال الأعمال.
لمراقبة كل هؤلاء، وضع "موراني" بمساعدة "بورجوني" خطة خاصة
كتوع من الشبكة يشكل خطوطها رجال الشرطة المعروفون بذلك في
الشرطة.
مخفيًا في مقصورته جلس الماركيز "سان سيلفستر" برأسه الأصلع
ونظارته الذهبية يعدد لزوجته المزايا المتوقرة من زواج ابنتهما. كانت

في صالون متجر "وروث" للأزياء التفتت البائعات حول "لوسي" دي
سان سيلفستر. أرادت الفتاة فستانًا لحفل راقص في اليوم التالي مساء
في الأوبرا، فستانًا يتناسب مع عقد المهراجا الزمرد الذي يرغب الكونت
في أن تضعه حول رقبتها.

- لا تستطيع أنabis فستانى البنفسجي ولا الأزرق ولا الوردي
هذه الألوان لا تناسب مع لون الزمرد الأخضر.
قالت السيدة "وروث" التي جاءت بنفسها لتسأل "لوسي" عن
طلباتها.

- بالتأكيد يلزمك فستان أبيض. تستطيع أن تنفذه لك في ثمان
وأربعين ساعة.

اقترحت إحدى البائعات التي تتفق ذهنها عن فكرة:

- لكن موديل الليدي "سيلوود" سيناسب الآنسة.
في الحقيقة إن فستان السيدة الإنجليزية لن يحيي موعد تسليمها
سوى بعد خمسة عشر يوماً عندما تعود من رحلتها خارج البلاد. وأمام
المشغل الوقت لإعادة تنفيذ هذا الموديل للسيدة الأجنبية.
بدت الفكرة رائعة، وعلى الرغم من ذلك، أحاببت السيدة
"وروث".

- تعرفين جيداً أن الليدي "سيلوود" سترتدي هذا الفستان في
ـ "لندن"؛ لذلك لم أتعترض عندما اختارت هذا الموديل، ولكن لا
نسى أنتي قد يعت بالفعل نفس الموديل إلى سيدة من "لیون"ـ
أحاببت "لوسي" :

- "لیون" ليست "باريس". هذا لا يهمني.
بعد لحظات كانت الآنسة "دي سان سيلفستر" ترتدي الفستان
الذي بدا وكأنه نفذ من أجلها. الحزام الأزرق الذي يمتد في شكل ذيل
يعطي أناقة عالية لهذا الموديل.
قالت البائعة:

تفرق الحشد حول الشراسة محل الإعجاب والحسد.
 - هل هو المكان والوقت المناسب لوضع مثل هذه الخلية?
 - ياله من غرورا
 - إنه تعالى واضح.
 - لن أصدق أن هذا العقد هدية.

- من يعرف إذا كانت هذه الأحجار مقلدة؟
 أخيرا في ظل الرجال الأقوباء وهذه الآلسنة المسلطة استطاع "جينساك" والأنسة "سان سيلفستر" التحرك، تابع "موراني" هذا المشهد وأشار إلى "بورجوني":
 قال له في أذنه:
 - شدد مراقبتك.
 ارتعش مساعد رئيس الشرطة عندما رأى "لوسي" تتحدث إلى رجل غريب إسباني.

هل تسمع خطيبة الكونت "دي جينساك" إذن بان يغازلها راقص آخر؟ رأى ذراع هذا الأخير تحبط كتفها فيختفي العقد.
 إنه لا يرى وجه "لوسي" ولكنه ميز فستانها الأبيض وحزامها الأزرق.

كما اتفق عليه بان يصل "جينساك" "لوسي" إلى شارع "باك" حيث تقىم، غادر السيد والسيدة "دي سان سيلفستر" الحفل مبكرا مفضلين الراحة على مياديع الحياة المتحضرة.
 ترافق الشباب ومرحوا. رقص "فيليب" و"لوسي" تحت عين "مانيه" البقطة الذي اكتشف في هذين الحبيبين موضوعا جيدا لرسم لوحته الجديدة. "دوماس" الآبن وجد فيها موضوع مسرحيته.
 همس "فيليب" وهو يضم "لوسي" في حنان:

- عزيزتي كم أنت جميلة.
 وعلى نفس الوتيرة أجابته:
 - حبيبي كم أحبك!
 عيناه في عينيها غير مبالين بمن يحيطهما. رقصا وهما يعتقدان

الماركيزة "سان سيلفستر" ممتلة قليلا. ترتدي فستانها يلون البرقوق.
 كانت تفكّر وهي تحرّك مروحتها أن لا ينتبهنّ لها حظا غير عادي، بينما لم تسمع أذنها أي كلمة من كلمات زوجها تحت ضوء النجف الضخم المتلالي، لاحظ الجميع دخول "لوسي دي سان سيلفستر" تتابعت ذراع الكونت "جينساك". على الفور أسرع السيد "شانسي" نحو الاثنين.

تم التعارف ثم قدم تهنئته وبعد ذلك أطلق سيلا من مجاملاته التي لا تنتهي بداية بفستان السهرة الذي ارتداه الفتاة.
 كم يتناسب هذا اللون الأبيض مع جمالها الأشرف. كم يبرز جمالها وخاصة عقد المهراجا "أدرايانا" الذي لمعت به حبات الزمرد.
 إن هذا العقد يثير فضول الجميع وتخيّلاتهم. احتشد الرجال والنساء حول الخطيبين مطلقين صيحات الإعجاب والحسد.
 صاح السيد "شانسي":

- أرجوكم لا تتدافعوا:
 لكنه أثاني قبل كل شيء، فقد نجح في الخلاص من هذا التجمهر تاركا لـ "جينساك" بمفرده حماية الآنسة "دي سان سيلفستر".
 - كم هو جميل!
 - يالها من روعة!
 - أدفع عمرى لكى أقدم مثل هذا العقد لمن أحب.
 - يالها من ثروة.
 - إنها ثغفة فنية.
 - من المستحيل أن نجد نظيرها في بلادنا.
 كل هذه العبارات اتسمت باللطف والود ولكنها انتقلت على الخطيبين.

خشى الكونت على "لوسي" من هذا التجمهر فأصدر إشارات بيده فسرّها رجال الأمان على الفور بأنها طلب للنجدة. على الفور اخترق حوالي عشرة رجال أقوباء الحاجز البشري الذي منع الخطيبين من التحرك وقسموه إلى مجموعات ووصلوا بهما إلى العضلات للنصف الأول من الدائرة. شيئا فشيئا دفع المتقطلين الاكثر إلحاحا.

لقت الكونت رأسه. وتعرف على الفور على "موراني".

- مساء الخير يا سيدى. أما زلت تعمل؟

- نعم. وأنت أما زلت تلهو؟

- إيني في هذا الحفل مع خطيبتي.

- تهانى.

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي الشرطي، إنه يفكر في صورة

"لوسي" والشاب الإسباني وهما يرقصان قبل حوالي ساعة، أضاف:

- أحذر من الجملاء ذوي الشعر الأسود.

ماذا يقصد هذا الرجل؟، ولماذا هذه النظرة الساخرة؟ سال "فيليب" نفسه هذا السؤال. ولكن لم يجد الوقت لكي يجرب لأن مشاجرة نشبت أمامهما تماماً. تبادل أحد الشبان كلمات قاسية مع آخر تعرّض فيه أثناء السير. كانت النتيجة أن تبادل الاثنان الصفعات بقوة حتى سقطت القبعات.

فجأة انفصلت الآنسة "سيلفستر" عن خطيبها. أحاطتها رجال أنيقون، معاونين حركة الحشد التي تدفعها إلى باب الخروج.

ترنحت على الدرج الأول، أسرع رجل له لحبة صغيرة شفراء ليمسكها، ولكن بقبيضة متسلطة. شعرت "لوسي" أنها منقادة رغمما عنها. أرادت أن تعرّض عندما جاء شاب آخر وانضم إلى الأول وسحبها تحت مصباح أطفاه إما: بتيار هواء أو بيد فاصلة؛ مستغلًا هذا الظلم وضع أحدهم منديلًا على انفها. أرادت أن تصرخ أن تقاوم، ولكن ملا انفها وفهمًا يخار خائق وارتخت عضلاتها.

في جو الشارع الربط، شعرت بأنها تنساق فقد فُقدت كل طاقتها. ممسكابها بقوة كانت تنزلق كأنها شبح في ضباب الليل.

رفعت إلى عريضة تنتظرها على بعد بضعة أمتار وبابها مفتوح، بينما أنهض السائق الحصان بضررها من سوطه، فقدت الآنسة "سيلفستر"وعيها.

بين الجمهور المتسارع نحو السلم الكبير بحث "فيليب" عن "لوسي".

أنهما بمفردهما، إن حبهما يعزلهما عن الآخرين. ولكن انتهت لحن "الفالس" وتوقف الرقصون عن الدوران.

توجه "فيليب" و"لوسي" إلى الصالة المجاورة حيث صافحا "جوبيه" وبعض هؤلاء الرسامين الذين يصنفون على أنهم انطباعيون ثم عادا إلى صالة الأوبراء الرئيسية.

عادا إلى الرقص من جديد صامتين، لقد أصبحت الكلمات لافائدة منها بل لقد أصبحت لا مكان لها بينهما، على وجهيهما ارتسمت السعادة، أخذوا يرقصان على نغمات "الفالس" في سعادة أبعدت المجاورين لهما في الرقص.

توقف العزف فجأة ليعرف السلام الوطنى. نهض الحضور وقد مروا التحية لدخول الإمبراطورة التي أجايتها من مقصورتها بانحناء برأسها.

ثم عزف الأوركسترا لحن "كادريل" الشهير، "فيليب" و"لوسي" من جديد وسط الرقصين.

يمجرد أن شعر "فيليب" بوجه خطيبته فكر أن الوقت قد حان ليعيدها إلى المنزل. وجود العقد حول رقبتها يؤكّد له أن الحدث سيحدث في أثناء الخروج. دق قلبه بسرعة وسالها وهو مغلق العينين.

- هل أنت متعبة؟ هل تريدين العودة إلى البيت؟

- أريد ذلك فعلاً يا "فيليب".

رفع "فيليب" عينيه. لقد عاد الإنسان القوى الواثق بنفسه.

- مهما حدث يا "لوسي" لا تشكي في.

- إني أثق بك

سلكاً طريقهما بين الرقصين. في مكان حفظ الملابس قدم "فيليب" المعطف والإشارب للفتاة الشابة. لم ترتعش يداه وبدأ وجهه سعيداً. برفق دفع "لوسي" إلى باب الخروج لكن هناك أشخاصاً عديدين في الصالة الرئيسية للأوبراء، شعر أنه يجب عليه رغمما عنها، أن يفقدها لأنه يجب أن يتم اختطاف العقد.

- مساء الخير يا سيد "دي جينساك".

سأل الكونت في قلق:

- لم أعد أرى خطيبتي أين ذهبت؟

دفع بعض الدخلاء الذين اعترضوا مزوره.

ضحك موراني.

- يا لك من حارس سيني! أحذر من الشبان ذوي الشعر الداكن إنهم

يختطفون الشقراوات!

إن مساعد مدير الشرطة يعتقد أن "لوسي" كانت تسمع في سعادة كلمات الغزل الحانية التي ساقها إليها الرجل ذو الشعر الأسود، وأنها قد تركت خطيبها من أجل هذا المجهول.

لقد أسعده هذه الفكرة، ولكنه ليس مقتنعا بها كل الاقتناع لانه يعرف في قراره نفسه أن الآنسة "دي سان سيلفستر" ليست فقط شخصية جادة، ولكنها أيضا تحب الكونت "دي جينساك" بشدة.

إذن؟ على الرغم من ذلك فقد شاهد ذلك الموقف. "لوسي" والغريب قربان جدا من بعضهما البعض ماذا يعني ذلك؟ ليس لدى السيد "موراني" وقت للتفكير في هذه المسألة، شعر فجأة بآن هناك يدا تعثّت في جيبه، تخمس ملابسه ثم شحّب من شدة الغضب.

- حافظني! لقد سرقت حافظتي

وقف وسط الحشد ونادى:

- بورجوني! أين بورجوني؟

أبلغ شرطي هذا الأخير الذي حضر على الفور بالقرب من رئيسه. أحمر وجه "موراني" من الخجل ووبح مساعدته على سوء مراقبة صالة الأورا.

- فتش كل المشتبه فيهم! إذا لم تجد ما أخذ مني فساحطه رأسك. في هذه اللحظة صعد الكونت "دي جينساك" السلم جريا. سأله أحد الحراس:

- خطيبتي؟ أين الآنسة "دي سان سيلفستر"؟ إنها تلبس فستان أبيض له حزام أزرق. ألم تشاهدتها؟

لكن لم يستطع الحراس أن يعطيه أي معلومة. عندما رأى "موراني" و بورجوني انضم إليهما فيليب.

- هل رأيتم الآنسة "دي سان سيلفستر"؟ اقترب بورجوني.

هل اختفت خطيبتك يا سيد الكونت؟
نعم إنني قلق للغاية بسبب العقد
قال الشرطي:

- الزمرد يجذب اللصوص يا سيد الكونت. أليس جنونا أن نضع مثل هذا العقد وسط كل هذا الحشد؟

في هذه اللحظة فقط فكر "موراني" في الخطير الذي يهدّد الفتاة، الأمر لم يكن مجرد هروب مع هذا المعجب إذن.

- بورجوني، تصرف بسرعة
استدعى الشرطي خمسة من مساعديه وأخبرهم بالموضوع في كلمات قليلة:

وأنهى حديثه قائلاً:

- فتشوا الصالة والشارع وأسرعوا.

على الرغم من أنه يعرف أن "لوسي" لا تتعرض لاي خطير شعر "دي جينساك" فجأة بالقلق.

الم تكن فكرة متّهورة محاولة التظاهر بسرقة العقد؟ في هذه اللحظة تقابلت عيناه بعيني "راما" الذي ظهر على بعد بضع خطوات. خفض الهندي رأسه. هو أيضا يشعر انه مسؤول.

بعد بضع لحظات، حضر رجل من رجال بورجوني بجري. اسرع نحو الكونت "دي جينساك".

- هل ترتدي الآنسة "دي سان سيلفستر" فستانا أبيض وحزاماً أزرق وشريطان من الورد؟
- هذا صحيح.

- لقد ركبت بمفردها عربة، ذهب أحد الخدم ليحضرها لها. وهناك اثنان من الخدم شاهدان على ذلك.

إنها إشارة مباشرة إلى السيد "موراني" هكذا فإن رجاله غير قادرين على حماية المواطنين. أجاب ثائراً.

- أرجوك . اذهب بسرعة وساعد الآنسة "دي سان سيلفستر" لكي تستعيد هدوءها . على الرغم من ذلك أرجو الا يزعجك أن في تلك الظروف العصيبة تطلب منك الشرطة موافاتها باخبارك ونحن في خدمتك يا سيدى .

بخطي رشيقه ابتعد **فيليب** عن ضابط الشرطة ووصل إلى باب المخرج. قبل أن يركب عربته لمح **بورجوني** فالقى إليه قائلًا:

- لقد وجدت خطيبتي لكن اذهب لهنرى السيد "مورانى".

لقد شرع في ملاحقة اللصوص الذين سرقوا الهقد الزمرد! تاركا الضابط في دهشة، أعطى أمرا للسائق أن يتوجه باقصى سرعة إلى نوتردام دي لورينت.

انتفاضة فيليب:

- هل ركبت بمفردك عربة؟ هذا مستحيل!

- بلی، یبینو ایضاً ان العربیة قد سلکت طریق "ریشیلیو" ، از دادت عصیّۃ الکونت:

- رحلت بمفردك؟! هذا غير معقول! إنه صمت، في هذه اللحظة ظهر شرطي وصاح:

- لقد ركبت الآنسة "دي سان سيلفستر" - يتبعها رجالان - عربة أنيقة يجرها حصانان وسلكت اتجاه "شوسبيه دانتين". لقد صالح أحد الرجال: إن العهد بنتظرنَا.

هناك تضارب في الأقوال بين الشرطيين، فإن الروايتين مختلفتان، لكن بدا أن الكونت قد أدرك الرواية الأكثر صحة. عبارة "ابن العم يتضررنا" هذه العبارة تعني أن كل شيء قد مضى جيداً وفقاً للخطة المتفق عليها.

بعد بضع دقائق سيلحق بخطيبته في منزل خاص في شارع "سان جورج" لكن قبل ذلك يجب أن يخبر "موراني"، وذهب ليجده ما زال في ثورة كبيرة.

- لقد حرصت على أن أخبرك أن خطيبتي كانت ضحية محاولة اختطاف ولحسن الحظ أن خادمي الهندي قد جعل الخاطفين يهربان؛ لكنهما قد سرقا منها العقد.

صاحب "مورانی" في تعجب:

- كيف؟ بعد حافظتي عقدك؟ هذا غير معقول هذا يعني أن هناك شيئاً يجب العثور عليهما، وبدون أدنى شك هناك لصوص يجب إيقافهم.

أجاب "جيتساك" في سخرية.

- أتمنى أن تقدم لي الشرطة خدماتها وتساعدني على استعادة العقد الزمرد الذي أهديته إلى الآنسة دني سان سيلفستر.

لكن الآآن اسمع لي آن أذهب لإحضار خطيبتي التي تنتظرني في
مكان آمن وتوصيلها إلى بيتها.

الفصل العاشر

في مكتبه شعر "موراني" هذا الصباح بمزاج عكك للغاية. إنه يشعر بحرارة في حلقه. لقد أفرط في الشراب أمس مما خلف على شفتيه، مثل كل يوم يلي ليلة حفل، مذاق الرماد. كما أن هذا الحفل الراقص في الأوبرا كان - بالنسبة له - ليلة سعيدة للغاية. إن رؤية غريمه منتصرا تعذبه، وكذلك حادث السرقة الذي تعرض له.

اعتقد أن الكونت "دي جينساك" أراد إجراج الشرطة عندما زين عنق خطيبته بهذا العقد الغالي ليجذب كل لصوص العاصمة، ثم ادعاء اختفاء الآنسة "دي سان سيلفستر" التي بعد بعض دقائق تم العثور عليها بمعجزة. كل هذا يبدو كانه تمثيلية. من يسخرون؟

ردد "موراني" ذلك وهو يعرف كيف يجيب على هذا السؤال.

وجد كالمعتاد البريد موضوعا على مكتبه بعد أن ألقى نظرة سريعة على أكثر الخطابات أهمية، رن الجرس لسكرتيره.

في انتظاره لم يستطع أن يمنع نفسه من التثاؤب. فتح الباب.

استدار نصف دائرة وقال للقادم:

- لا يوجد جديد هذا الصباح؟
- نعم، على العكس. شيء يبدو من أول وهلة خطيرا جدا.
انتبه موراني.

- عم تتحدث؟
قتل فتاة شابة مجهرولة عند خروجها من الأوبرا استقلت عربة من أمام الأوبرا، وعند وصولها إلى "بون نيف" اكتشف أنها قد طعنت بسکین في قلبها.

- من هذه الفتاة؟
مجهرولة لكنها من أسرة ثرية بدون شك. انتقام؟ جريمة سياسية؟

على أيّة حال إنها ليست جريمة سرقة، إن المفترض "جوليوب" الذي يقود التحقيق دقيق في هذا الشأن هو تقريره. قدم السكرتير إلى رئيسه ورقة عليها خط دقيق.

قرأ "موراني" بعناية كل تفصيل. شحب وجهه وشعر بالقلق كلما تابع القراءة.

بعضوت مهتر، قال:

- أريد أن أرى المفترض "جوليوب" على الفور.

ابتعد السكرتير. عندئذ ليخفى نفاذ صبره. نهض رئيس مكتب مدير الشرطة وسار في عصبية بطول وعرض مكتبه. همس:

- فستان أبيض حزام أزرق

فكرا في "لوسي دي سان سيلفستر" التي كانت تلبس هي أيضا فستان سهرة أبيض وحزاماً أزرق. لم تكن هناك امرأة أخرى في حفل الأوبرا تلبس فستاناً أبيضاً. كان هناك العشرات من النساء لكن لماذا تحدث الكونت "دي جينساك" عن اختفائهما؟ لكنه أكد بعد ذلك أنه عشر عليها كما أنه لا يستطيع الاقتناع بسرقة العقد في هذا الوقت لماذا؟

لم يعرف "موراني" ماذا يقول، ولكنه كان يشعر بارتباك كبير. أخيراً فتح الباب ودخل "إدموند جوليوب"، إنه رجل قصير نشيط، له عينان نابهتان.

انحنى يحيي مديره الذي قال:

- يجب أن تعرف قبل هذا المساء من تكون هذه المرأة؟

- سافعل ما بوسعي.

- وإن تجد القاتل أيضاً. هل لديك أي إشارة؟

- لا توجد أي إشارة؛ "جيروم ماتيو" ، السائق الذي حاولت مارا أن تجد في حديثه تناقضات لم يغير روایته أبداً. يقول إن راكبته لا بد أن تكون قد قتلت عند "اللوفير". عندما توقفت عربته أمام طابور عرض العربات المتوجهة إلى "هال". كان المكان مظلماً، ولم يستطع أن يرى القاتل. بالإضافة إلى أن العجلات الحديدية للعربات أحدثت ضجيجاً؛ لم يمكنه من سماع صرخة المسكينة إذا كانت قد صرخت.

قاطعه "موراني":

- لقد قرأت التقرير هل لديك وصف فستان الضحية؟

- إنه فستان سهرة غال وانيق. فستان أبيض مزين بالورد وحزام

الرغم من ذلك انتاب الضابط الكبير شعور غريب، لأن المسكينة تلبس نفس الفستان الذي كانت تلبسه خطيبة الكونت "دي جينساك". عندئذ استعاد "موراني" المشهد الذي أدهشه ليلة أمس: الآنسة سان سيلفستر تتحدث عن قرب مع مجهول لم يكن الكونت "دي جينساك". هذا السلوك غير وارد من ناحية الفتاة. كل شيء يتضمن الآن تلك التي اعتقاد أنها "لوسي" هي القتيلة! إذا كان هو قد خدعاً هذا التشابه فيجب أن يكون الآخرون أيضاً قد وقعوا في نفس الخطأ وهم الآخرون يوجد بينهم القاتل. الذي طعن هذه الفتاة قد اعتقاد أنه يقتل الآنسة "دي سان سيلفستر". لقد وقع خطأ. هذا يبدو واضحًا. لكن هل هو لص عادي من فعل هذا؟ هذا يبدو غير محتمل لأن العقد قد اختفى في الأوراق.

ماذا إذن؟

أعطي "موراني" أوامره:
- يجب قبل هذا المساء معرفة شخصية القتيلة.

بعد ساعة عرف رئيس مكتب مدير الشرطة شخصية القتيلة، سلم بيت أزياء "ورث" فستانًا مشابهاً للسيدة "أميلي تورونو" زوجة تاجر حرير في "ليون" جاءت لتقضي أسبوعاً في "باريس". نزلت هذه السيدة لدى قريبة لها في شارع "سان سولبيس"، أصبحت هذه القرية بالذعر عندما رأت أن ابنة عمها لم تعد من الحفل حتى الساعات الأولى من النهار وأبلغت الشرطة على الفور باختفائها. يجب أن يشعر "موراني" بالفخر لسرعة رجاله. لكن لم يحدث ذلك. قال "بورجوني" عابساً.

- لقد دفعت "أميلي تورونو" حباتها من أجل سيدة أخرى. هذا ثار.

أجاب "بورجوني":

ازرق. شبح وجه "موراني" تماماً كأنه تحول إلى جثة. ارتعشت شفتيه السفلي. أغلق عينيه وتخليل شريط الورد على فستان "لوسي". وانخذلت الجثة المجهولة على الفور صورة "لوسي" أمام عينيه. ساد صمت ثقيل في الغرفة.
أكد "جوليير":
- يبدو أن كل شيء يبرهن على أننا لسنا أمام جريمة بداع السرقة. القببي! كيف يستطيع أن يتغافل بهذا القول؟ إنه لم يربط بين القضيتين. سرقة العقد الزمرد، ومقتل الآنسة "دي سان سيلفستر". لكن كيف استطاع الكونت "دي جينساك" أن يؤكد أنه قد عشر على خطيبته؟ هذا صحيح أن منافسه الذي يلتقي حوله عدد من الرجال المجهولين، ربما يكون قد كذب عندما ألقى هذا التأكيد.
ربما - تجنباً للتعامل مع الشرطة بداع الكبرياء - أكد الكونت أن خطيبته يخبر بينما مسح رئيس مكتب مدير الشرطة على عينيه بيده كأنه يريد أن يطرد المشهد الكثيف الذي يلح على تفكيره.
نهض. في الواقع لا شيء يؤكد أن القتيلة هي "لوسي". عدم تأكده هذا جعله غير قادر على اتخاذ أي قرار.
قال آمراً:

- سيارتي بسرعة!
أخذ قبعته واندفع في الردهة. لن يعرف الحقيقة إلا في المشرحة أمام جثة القتيلة المسكينة.

عند كشف وجه القتيلة الشاحب شعر "موراني" أنه قد خرج من كابوس. الحمد لله هذه المجهولة ليست الآنسة "دي سان سيلفستر" وعلى

سيلفستر" الذي استخدم كحجج لسرقة العقد، والسرقة نفسها كل ذلك لم يكن له الصدى الذي تمناه هؤلاء الذين يكرهون الكونت "دي جينساك". كل شيء مضى على العكس كان المجتمع والصحافة يقبلان هذه الحادثة المزعجة ويتبعان كلمة سر واحدة فيرفضان أي تعليق كما يرفضان أي مزاج يتعلق بهذه القضية.

على الرغم من ذلك فإن اختفاء حافظة "موراني" قد أعطى الفرصة للمعارضين ذوي الألسنة الحادة الذين اعتادوا مهاجمة "نابليون الثالث" تحت اسم اللعوب لتجويه هجاء شديد ضد "موراني". بعد ثلاثة أيام أكد بعض المسؤولين أن الحافظة سيتم العثور عليها بالتأكيد قبل قاتل السيدة البيولونية أو لص العقد الزمرد. مستاء من اللوم الشديد الذي تعرضت له الشرطة أرسل السيد "بيتربي" - رئيس الشرطة - في طلب "موراني". قدم له اللوم على استخفافه وفقدانه لهدوئه في حفل الأورا. أضاف مدير الشرطة:

- كما أن تحقيقاتك لا تتقىم أبداً مثلاً، التحقيق الذي فتحته لسرقة العقد. وهل لديك إشارة واحدة عن قاتل "بون نيف"؟ وماذا وجدت بشأن مقتل شرطي غابة "ميدون"؟
تجاهل "موراني" السؤال الأول، ولم يجب سوى على السؤال الثالث.

- لا شيء جديد، مازلت عند نفس النقطة. لقد وجد خاتم "جينساك" في "تريفرو"، وهذا يبرهن على أنه ليس غريباً عن هذا الحادث. حتى إنني متتأكد أنه منفذه.

خبط "بيتربي" على مكتبه بطرف فتاحة الخطابات العاج.

- أنت تحكم على أساس التخمين يا "موراني" كن حذراً، إنهم يحاولون تنحيتك عن منصبك. إن سرقة حافظتك قد صعدت، لم يتم أصدقاء "أوريسيوني" احركة الـ"كاربوناري" قد رفعت رأسها لقد تم اجتماع في "ميدون" أنا لا أشك في ذلك، وعندما نجح أحد رجال بورجوني في مراقبة الكونت "دي جينساك" حتى النهاية فقد دفع ثمن جرائه غالياً، لكنني شخصياً لا أعتقد أن الكونت متورط في هذا

- ما الذي يجعلك تعتقد مثل هذا الاعتقاد؟

- شيء محدد. كان العقد الزمرد مختفي بالفعل عندما وجه القاتل ضربته، الأمر لا يتعلق بالسرقة إذن! خبط "موراني" باصابعه في عصبية على المكتب.

دمدم من بين أسنانه:

- كل هذا أخطر بكثير من مجرد قتل بدافع السرقة.

لا يوجد أدنى شك أن السيدة الشابة المسكينة القادمة من "ليون" قد دفعت حياتها ثمناً لتشابهها مع الآنسة "دي سان سيلفستر". من إذن أراد قتل خطيبة الكونت؟ من مالم يمكن من أعداء "جينساك" ولكن أعداءه - كما يعرف "موراني" جيداً - هم في المقام الأول من بين رجال الشرطة.

القاتل أراد أن ينتقم لزميله الذي قتل في غابة "ميدون". لم يستطع "موراني" أن يخفى القلق الذي يخنقه. ذلك لأنه وهو الضابط الكبير يشعر بالعجز. الخيانة تكمن في إدارته. فكر في "بورجوني" أقرب أعزائه الذي لا يستطيع هو نفسه أيضاً - في بعض الحالات - أن يفعل شيئاً كبيراً.

لكن على الرغم من ذلك من المنتظر أن يقدم حلاً لهذه القضية.

- بورجوني ، يجب اكتشاف قاتل السيدة "أميلى تورنو" بأي ثمن قبل ثمانية أيام. يجب ذلك من أجل الشرطة والرأي العام. هل فهمت؟

ثبت "موراني" نظرته الفولاذية في عيني مساعدته. خفض هذا الأخير رأسه وقال في ايجاز:

- منجد المذنب. أقسم على ذلك.

حسن، شعر "موراني" أن نفسه قد تحسن. يمكنه الاعتماد على بورجوني إنه مساعد مفعم بالحماس وسريع البداهة.

إن قتل السيدة المسكينة والاختطاف المزعوم للآنسة "دي سان

- احذر يا "موراني" وكن يقطا دائماً، وابتعد عن مشاعرك الخاصة الآن، اعمل على ما يبقيك على قيد الحياة ولكن ابق أنت نفسك في وضع محايده.

مستاء من ملاحظات رئيسه، مجرحًا من الاستخفاف الذي أشار به إلى حبه، ومتغاظاً لفكرة أن يكون الكون قد خدعاً، عاد "موراني" إلى مكتبه يملؤه الغضب والحدق. وجد "بورجوني".

سأل بصوت جاف:

- لماذا إذن؟

- حسناً ها هو يا سيد

حدث الشرطي في بطءه. إن اعتياده عمل التقارير قد علمه أن يقسم حدثه. وبوجه ارتسمت عليه علامات الجدية ذكر اسم الآنسة "دي سان سيلفستر" ، فهو يعرف مدى اهتمام رئيسه بها.

في الواقع كان ذلك الأخير لا يستطيع إخفاء شغفه بالآنسة "دي سان سيلفستر" حتى عندما يغلق عينيه ليخفى مشاعره. قال الشرطي:

- لقد استعادت الآنسة "لوسي" هدوءها تماماً وبرئت من الآثار السيئة التي سببتها لها محاولة اختطافها. وهي لم تبد متاثرة باختفاء العقد. هذا ما يثير الفضول حقاً - فإن والدها ووالدتها يلومان بشدة الشرطة، ويؤكدان أن رجال الشرطة لا يتصرفون كما يجب حتى يعثروا بسرعة على اللصوص!

زم "موراني" شفتيه وقال:

- والسيد "دي جينساك"؟

إنهم يرجحون به أكثر من أي وقت مضى في منزل آل "دي سيلفستر" ، وينعون سوء حظه، ولكنهم يتذمرون صبره وهدوئه.

لم يستطع "موراني" إخفاء عصبيته سال:

- من أين أتيت بمعلوماتك؟

- كل ذلك قد قام بجمعه أحد عمالائنا الذي أصبح منذ بضعة أيام عاشق الطباخة التي تعمل لدى آل "سان سيلفستر".

- ماذا عن العرافة التي تعيش في حي "سانت ميري" ، ماذا قالت؟

القتل. إني متأكد فقط من أنه ينتمي إلى حركة الـ"كابوناري". إني أفكر في وجود صلة بين هذا الأمر، وسرقة العقد المشهورة وربما أيضاً سرقة حافظتك.

شعر "موراني" بحبسنه يتصرف بعراقة. لقد اعتقد أن "بيترى" سيذكر السيدة التي قتلت، لكن الحمد لله أنه لم يربط بين كل ما سبق وهذه القضية. فكر "بيترى" لحظة وجزة ثم أضاف:

- بالنسبة للزمرد نود أن نجحيب على شركة تامين "اللويدز" التي كتبت لنا. أعرف أن هؤلاء السادة في "لندن" يريدون أن يعرفوا المزيد قبل أن يدفعوا. مستخبرهم إذن وساعطيك النتائج. ابق في مكانك يا "موراني" ، وإذا أردت أن تتجوّل فتجنّب أن تخضع للحب. هل تعرف ماذا يعني ذلك؟

احمر وجه "موراني" قليلاً وهمس:

- نعم يا سيد الرئيس.

- ستتجدد أن حافظتك ستعود إليك عندما يتم إرضاء فضول الذين انتزعوها منك.

- أشك في ذلك.

صدقني، يجب الكشف عن كل "أولاد العم" مهما كانوا. إن هدف نشاطهم الشارـــل أورسيـــي الذي جعلوا منه شهيداً. من الآن فصاعداً حياة الإمبراطور في خطر، والإمبراطورية نفسها. هؤلاء الرجال لديهم في الحقيقة شركاء، وهم يتمتعون بمساندة الناجين من الشمائـــية والأربعـــين.

قال "بيترى" بعد برهة صمت.

- هناك أيضاً قاتل "بون نيف".

قال "موراني" بدون اقتباع:

- أعتقد أن لدى خططاً للموضوع.

- حاول أن يكون هذا جاداً يجب أن تجد المذنب.

- بالتأكيد يا سيد الرئيس.

نهض "بيترى" وقبل أن يترك محاداته قال:

- اگرچہ، ان تکون قد راقیت کا، ہو لاء۔

- نعم. عينت شرطين لمراقبة "جاكومو ديللا روبيا". للأسف هذا الرجل الماكر يتنقل دائمًا متنكرًا. وهو بارع في قيادة سيارته بسرعة حتى إنما نفقده في أزدحام الشارع.

- والرجل ذو العمامة البيضاء؟

- إنه رجل الشقة المجدید للكونت يدعى "راما" وليس له اي علاقة بالعاملين في منزل "جيتساك".

سال "مورانچ" فی، دهشة:

- كيف ذلك؟

آجات بورچونه مفسا:

- المكتب المجاور للمكتبة في الدور الأرضي يستخدم غرفة للهندسي، وليس بهذه الغرفة أي شيء آخر فضول الضابط "مارسلين" الذي دخل بيت "جيتساك" متذكراً في صفة سباك يصلح الماسورة المعطلة. قال السائق إن الهندي يختفي فجأة لساعات دون أن يعرف أحد أين ذهب، ولا الغرفة التي خرج منها. نجح الضابط "مارسلين" في متابعته مرتين، ولكن المرة الأولى فقده أمام مكتبة "سوس"، والمرة الثانية عند الأوبرا.
- يجب أن تستعد المعلومات من الهند.

— هذا ما كنت أنوي، وللمربي من الأمان طلبت هذه المعلومات من حاكم "بونديشرى" ، وهي المدينة التي كان يقيم فيها الكونت . ولم تحصل على أي معلومات خاصة بالرجل الذي خلف ورائه سالفيه . على الرغم من ذلك يأتى إلى شارع "سان أونورى" من وقت إلى آخر رجل في غاية الأنقة وفارس بارع في حوالى الخامسة والأربعين .

- أليس ذلك الرجل هو المعروف باسم "كولونيل"؟

- بلی یا سبدي، عضو في نادي جوکي يعيش بمفرده ويدون خدم في شقة صغيرة في رقم (٩) شارع هيلدر. يستقبل لديه كل يوم ماعدا الاحد ثلاثة اشخاص. اثنان منهم كانوا في الماضي يتربّدان على المدعو اورسيتي يعيشان حياة تتسم بالتفاشف. أحدهما يعيش في غرفة مفروشة، والثاني لدى سيدة عجوز في شارع كوك هيرتون ،

- استقبلت عراقة شارع فينيس التي تدعى مدام "مانو" للمرة الثانية زيارة الآنسة لوسي تصبحها ماري الجميل.

- هل تخبرك هذه المرأة بما يحدث؟

- إنها دقيقة جداً في التقارير التي ترسل بها إلى ليون. ليس أبعد من الأمس عندما علمت أن الآنسة دي سان سيلفستر سالتها عما إذا كان الرجل الذي تحبه يتعرض لخطر الآن. قالت: إنها عرفت الآن ماذا كانت الأحجار الخضراء التي حدثتها عنها السيدة مانو في زيارتها الأولى، ثم أرادت أن تعرف متى ستري هذه الأحجار من جديد؟.

سالِ موداتیں:

- معاذًا أجيأت؟

- تبع هذه الأمثلة أسللة أخرى عديدة أجبت عنها السيدة "مانو" إما بالسلب أو بالإيجاب. ولقد استمعت الآنسة "دي مان ميلفستر" للأخبار الطيبة والسيئة بوجه مبتسם كأنه قناع من السعادة. والأكثر أنه عندما قرأت العرافية بناء على طلب الفتاة حظها من خلال ورق اللعب كانت الفتاة ماخوذة بتوة فرح انتهت بضحكة مجونة. ولكن لم يقتصر "موراتي" بهذه المعلومات. قاطعه بحركة من يده وقال:

- من ذلك الرجل ذو الشارب الضخم؟

- يدعى "جاكومو ديللا روبيا" خادم قديم للكونت "دي جينساك" كان قد عاد إلى "ميلانو"، ولكنـه عاد من جديد إلى "ماريس" عندما عاد الكونـت من الهند، وفتح في شارع "شيللو" مطعمـاً اسمـه "البرجـو ديللا ليبرتا" الذي اكتـسب في بـضـعة أيام شهرـة كـبـيرـة كـمـطـعم إـيطـالي يقدم أـشهـر الأـطـبـاق الإـيطـالية.

- هل ما زال على علاقه مع سيده القديم؟

- بالتأكيد، وعلى الرغم من ذلك فهو غير متواجد باستمرار في شارع "شيللو" باستثناء السيدة التي تعمل أمام الفرن، وهي من "جيتو" فإن باقي العمالة في المطعم من الفرنسيين وجميعهم يتصرفون بمهارة مع محاولات الشرطة لمعرفة أي أخبار منهم.

الفصل الحادي عشر

كالمعتاد في نهاية اليوم قام "موراني" بنزهة قصيرة بطول الشارع. الشمس لطيفة، والجو ليس حاراً، ولكن "موراني" كان مستغرقاً تماماً في أفكاره حتى إنه لم يلاحظ حالة الجو. كما أن هناك عاصفة توج بداخله. إنه يفكر. اختلطت كلمات رئيس الشرطة مع ملاحظات "بورجوني"، جريمة غابة "ميدون"، "جاكومو ديللا روبيا"، "الكولوني" وأصدقاؤه وحركة الـ"كاربوناري" التي تنهض من جديد، "راما" بملابس البيضاء. جريمة القتل المرتبطة بالإمبراطور الثالث، الآنسة "دي سان سيلفستر" والسرقة التي تعرضت لها، ثم جريمة قتل "بون ناف" يالها من فوضى.

"جينساك" بريء؟ لا، هذا مستحيل، في هذه الحالة التخمين يعتبر واقعاً، إنه مذنب، مذنب لجرائم القتل والاختطاف والسرقة. مذنب لإهدار كرامته أمام الآنسة "دي سان سيلفستر". مذنب عن الماضي كما عن المستقبل. لماذا في هذه الحالة لا يكون المسؤول عن مقتل السيدة الشابة؟

زفر "موراني" ، عندئذ لاحظ أنه في الهواء الطلق وأن هذا له أثر طيب في نفسه، وجد نفسه في شارع "سان بييريز". وأنه على بعد ذراع من جرس أحد الأبواب.



في هذه المرة استقبلته السيدة "داليان" بالترحيب عند عتبة الصالون الأزرق.

- تفضل بالجلوس يا "سيدي" أنت أقل تبكيراً من زيارتك الماضية. تقدمت بين حفيظ ثيابها الحريرية، جميلة أكثر جاذبية من أي وقت مضى. قبل زائرها يدها في كيسة.

- صديقتي العزيزة، أريد أن أعرف إلى أين وصلنا في عملنا.

التي صرحت لنا بأن سلوك نزيلها لا تشوبه شائبة.

- هذا الكولوني لم يمارس في "ليون" نظام الفرسان؟

- في الحقيقة قد عرف تحت اسمه الحقيقي "جان جوزيف تالور" إنه رجل ذو علاقات طيبة، ولكنه كانت له علاقات صداقة مع الأوساط الشيوعية في مجتمع النساجين في "ليون".

- في انتظار معلومات إضافية قد تواجه احتمال أن يكون صاحب السالفين المفقودين هو نفسه الكولوني.

- نعم يا سيدي. من ناحية أخرى، منذ معرفة العقد، السيد "دي جينساك" لم يعد يغادر منزله، وهذا ليس لغازلة خطيبته ولكنه يستقبل زيارات منها زيارة الكولوني، "جان باتيست" ، "كاربو" ، "جاكومو ديللا روبيا" ، "نيستور روبلان" ، "تيفيل جوتيبة" ، "جاك أوفيباخ" والسيدة "داليان" .

توقف "بورجوني" كالطفل الذي لم يعد لديه شيء ليسمعه. سال "موراني" :

- هذا كل شيء؟

- نعم يا سيدي. هذا كل شيء.

- إذن ابحث عن كل ما يلزم لتوسيط "دي جينساك". نطق هذه العبارة وهو يؤكد على كل كلمة من كلماتها. ألم يكن مقتل السيدة القادمة من "ليون" قضاء وقدراً؟ قرأت نفس الفكرة في أعين الرجلين.

سيدي "موراني" أنه من الخطر الشديد أن تبتز امرأة جميلة، انتاب "موراني" غضب شديد حاول أن يستجمع كل هدوئه حتى لا ينفجر في وجهها.

قال بصوت ساخر:

- أنت إذن صديقة حميمة للسيد "دي جينساك"!

أجابت في كبراء:

- أدعوك أيضا لاحترام أصدقائي.

- أوه هذا الشخص:

- انقضت "صوفي":

- إني آسفة لانه لا يعجبك، على أية حال إني صديقة أيضا للسيد بيترى رئيس الشرطة الذى قدم لي سكرتيره: الشخصية التي لا يعرفها كما أعرفها أنا، وبدون ذلك لما كان ليعهد له بثقته أبدا. عض السيد "موراني" شفته. شحب وجهه وأدرك أنه لم يعد أمامه شيء ليفعله في منزل الجميلة "صوفي" وهم بالرحبيل.

قال متحمسا:

- وداعا يا سيدي، أتمنى لك المزيد من السعادة، ولكن تخبني الزلل لأن مساعد رئيس الشرطة المتواضع لن يغفر لك ولن يسامحك أبدا.

- شكرا يا سيدي "موراني" لقد حذرتكني. لكنني أريد أن أكون عادلة معك، دعني أحذرك بدوري. ستتجدد حافظتك في أقرب وقت. وداعا يا سيدي.

ابتعد "موراني" وقلبه يضج بثورة عارمة. من شدة ارتياكه عبر شارع "سان بيريز"، وكادت دراجة تصدمه. صاح سائق الدراجة بالإيطالية:

- احذر يا رجل.

استعاد "موراني" انتباذه. نظر إلى الرجل الذي يعتلي الدراجة ذات العجلتين، لاحظ أن له شاربا ضخما.

وضعته هذه المصادفة على طريق منزل "دي جينساك". بدون تردد كان هدف سيره.

أخذت تضحك ضحكة مصطنعة.

- أعمالنا، بالله! ليس لدينا شيء مشترك.

احتفظ بيدها في يده وبصوت متسلط أمرها:

- لا تكوني سخيفة يا "صوفي".

أجابت في حدة:

- نادني بالسيدة من فضلك. إذا لم ترد أن تكون مؤديا فسانادي خدمي ليلقوا بك خارجا.

جحظت عيناه من شدة الدهشة، إنها تظهر له عداءها بشكل صريح.

سألتها:

- هل تعرفين أن حافظتي قد سرقت؟

ابتسمت:

- إنها قصة أهل المدينة المفضلة.

- حسن لقد ذهبت إلى منزل السيد "دي جينساك".

ماذا فعلت؟

- ليس لك شأن في ذلك. في المستقبل تجنب أن تسالني بهذه السوقية وهذا التطفل: لم أعد أتحمل ذلك.

نهضت مشيرة إلى زائرها بأنها تريد إنهاء الحديث.

قال "موراني":

- لا تكوني متعالية بهذا الشكل يا سيدي. على الرغم من سرقة حافظتي فإنه ما زالت لدى أوراق شخص أرض "مونتولون" قهقهتها السيدة الشابة ونظرت إلى نفسها في المرأة، ثم أخذت من فوق المدفأة علبة عاجية صغيرة ففتحتها:

سألته:

- ماذا تجد بداخلها؟

أجاب "موراني":

- رماد.

- هذا تماما ما تبقى من الأوراق وأحتفظ به باهتمام، لتعلم يا

أجاب "دي جينساك" غير مبال:
- أخشى الا يكون ذلك ممكنا.
ارتسمت ابتسامة انتصار على شفتي الزائر.
- لأنك فقدته؟ ذات ليلة في غابة ميدون؟
رفع "جينساك" كتفيه كان ذلك ليس له أهمية. قال:
- في غابة "ميدون" ، ربما بالليل، لا.
مال السيد "موراني" إلى الامام كانه يستعد لتوجيه ضربة لعدوه
بسلاط فناك قال:
- هذا المخاتم على مكتبي في رئاسة الشرطة. وأعتذر عن ذلك.
اعذر أيضا عن أنني أصر على أنك فقدته ليلا في نفس الليلة التي
طعن فيها أحد ضباطنا في "بير- أو- موان".
قال "فيليب" دون ان يظهر على وجهه أي انفعال:
- إن لك يا سيد "موراني" خبال مؤلف روایات. أطفئ هذه
الشكوك الثائرة بداخلك! ليست لدى عادة السير في الغابات ليلا. ومن
في أيامنا هذه يحب مثل هذه التزهدة؟
- جماعة الفحامين الذين يعتقدون أنهم أسياد أنفسهم. أقصد
أسياد لدى الآخرين:
*
ضحك الكوونت:
- أوه! إنها مهنة تندثر مع تقدم العلم. وفهم الأرض.
ساله:
- هل تعرف ماذا أقصد؟
- أنا؟ نعم هؤلاء الذين يضعون الاخشاب في حزمة يحرقونها
ليصنعوا الفحم.
إن فقدي لأحد أغراضي لا يورطني في شيء. إنك أنت نفسك قد
فقدت حافظتك؟ ولم أقل شيئاً عن ذلك. تظاهر السيد "موراني"
بالضحك كانه قد سمع نكتة.
- هذا مضحك أليس كذلك؟ ها! ها! شرطي يسرق! وفي
حفل الأوبراء أيضا! وفي نفس وقت سرقة الكوونت "دي جينساك".

عندما وصل إلى هناك، بعد نصف ساعة حياد "راما" عند السلم.

- من أخبره أن هناك من يريد زيارته؟
- أجاب وهو يدخل المنزل:
- السيد "موراني" مساعد رئيس الشرطة:
- عند سلام الدور الأول وقف الكونت "دي جينساك" في مظهره الجذاب.
- صباح الخير يا سيدي "راما" اتركنا الآن من فضلك تفضل بالصعود يا سيد "موراني" سيكون من الأفضل أن نتحدث في المكتبة.
- إنهما الآن وجهها لوجه. حاول "جينساك" أن يلفت انتباه زائره وكان قد طاف هذا الأخير ببصره على الأرفف التي صفت بشكل جميل. مضت لحظة طويلة قبل أن يبدأ أحدهما بالحديث. وأخيراً كسر "موراني" الصمت.
- لقد جئت في زيارة قصيرة لك لنتحدث قليلاً عن العقد الذي سرق لأنني لا أعرف شيئاً عنه، ولا ظروفه، وكيف تريدينني أن أجده؟ دون انتظار شرع "جينساك" في وصف العقد بشكل دقيق ومنفصل، ثم روى له باختصار الظروف التي أهدي له فيها العقد وأسهب في الحديث عن كرم "المهراجا"، ثم عدد الأسباب التي قادته إلى التعاقد مع شركة تأمين "اللويندرز" في "لندن" حيث أمن عليه بمبلغ خمسة ملايين.
- استمع السيد "موراني" دون أن يرمش له جفن ودون أن يطرح أي سؤال. بعنابة حاول العثور على ثغرة في عبارات السيد "دي جينساك". فجأة عندما صمت الكونت رفع "موراني" عينيه عن صفوف الكتب ونظر مباشرة في وجه الكونت.
- هذا الصديق الكريم لم يكرنك إلا بالعقد فقط كان "دي جينساك" متوقعاً هذا السؤال أجاب:
- في الواقع كان لي الحق بالإضافة إلى ذلك في نيشان العرفان.
- اللح "موراني" :
- لقد سمعت عن حجر كريم أسود منحوت بشكل دقيق وبارك.
- هل يمكن أن أراه؟

متجنبًا إحداث أي صوت نزل حتى قبو تحت سلم المبنى لللحق بالمنزل وهناك تخسيس طريقه على الحائط حتى وصل إلى باب منخفض.

من قبو إلى قبو، انتهى "جاكومو" بان خرج تحت سلم أحد اللبناني القديمة في شارع "أونوري" لشارع "مان أونوري". وهناك وجد دراجته التي كان قد تركها منذ قليل، ركبها وقادها تحت الشمس، طاف حول المنازل ليعود من جديد إلى منزل "دي جينساك". اخترق العتبة تاركاً دراجته في الفناء، ودخل المنزل كأنه صديق قديم.

على شماعة المدخل كانت ستة السيد "موراني" معلقة. نظر إليها "جاكومو" في سخرية وأخذ شيئاً من جيده ودسه في جيب ستة

الضابط ثم في هدوء ورضا سلك طريق صالة الألعاب.
دخل الصالة دون أن يطرق الباب، كانت الصالة مضاءة بنور النهار

الذي تسلل عبر خمس نوافذ.
كان "جينساك" و "موراني" على الرغم من عدائهما يتقدان الأجهزة الرياضية.

قال القاوم الجديد:

- سيدور "جينساك" لقد اعتدت أنك بمفردك.

جاء "فيليب" لاستقبال الرجل:

وقال وهو يعرفه.

- تقدم يا صديقي "جاكومو ديللا روبيا". كان يعمل رئيس الخدم في منزلي، والآن هو صاحب مطعم.

قال "جاكومو" في فخر:

- البرجو ديللا ليبيرتا" مطعم يوصى به.

قال الكونت:

- السيد "موراني".

قال "جاكومو":

- إنني أعرف بالفعل السيد "موراني".

ستجد حافظتك.

- لقد قيل لي ذلك.

- تأكيدان أفضل من واحد ثق بذلك.

لم يجب "موراني" ولكنه فكر في اختطاف الآنسة "دي سان سيلفستر"، ومقتل السيدة الشابة. فكر في الحدثين اللذين قد لا يكونان سوى حادث واحد.

لن يستطيع الكونت "دي جينساك" الإفلات وراح يحمل في سعادة باللحظة التي يرى فيها "فيليب" موقفاً يسير بين شرطيين. أن يتم لهم الكونت بالقتل يا لها من خبطرة في المجتمع الراقي! يالله من ثار لحبه الصبايع! ابتسم لهذه الفكرة. وانتفخ وهو يسمع محدثه يساله:

- هل ما زلت تحب الرياضة؟ لقد حدثني السيدة "دالبان" عن مهاراتك في ركوب الخيل.

همس "موراني" ، وقد انزععه من أحلامه.

- مهارة؟ هذه مبالغة!

توجه "جينساك" نحو الباب:

- كي ترى العدد الرياضية التي أحضرتها لتعطيني رأيك.

أبعد "راما" أذنه عن الباب وهرب على أطراف أصابعه في خفة القطة. بينما كان "دي جينساك" يقود "موراني" إلى حجرة الألعاب الرياضية. عبر "راما" المنزل ووصل إلى المبنى لللحق بالمنزل دون أن يراه أحد. دق باب "البير" في هدوء وفقل لضربات متتفق عليها فتح "البير" الباب في حرص ودخل الهندي في الحجرة وبسرعة اختفى خلف ستارة. بعد قليل خرج من خلفها رجل له شارب ضخم، إنه "جاكومو ديللا روبيا" الخادم القديم للكونت "دي جينساك" وصاحب المطعم الذي اندس في صمت في الردهة بعد أن أشار إشارة تواطؤ للهندي.

- هل تؤمن بالمستقبل؟
 - بالطبع، وأنت؟
 - لا، هذا من حسن حظي.
 ضحك "موراني" في سعادة، سعيداً رما لانه ضابق "جينساك"،
 ولكن يده التي تحرك العصا قد خبطت معطفه. لقد شعر بشيء غير
 طبيعي.
 توقف عن الضحك وأخرجت يده حافظة. إنها حافظته. تبتسم:
 - لكن لكن لكن
 نظر إليه "جاكومو" متظاهراً بالدهشة.
 - ماذا هنالك يا "سيور"؟
 - حافظتي. لقد كانت في جيبي.
 - كل الرجال لديهم حافظة يا سيور "موراني"، كل الرجال
 تفضل مساء غد في مطعم "البرجو ديللا ليبرتا" إني أدعوك للطعام.
 إلى اللقاء.
 قفز على مقعد الدراجة وابتعد "جاكومو" بسرعة تاركاً "موراني" غارقاً في دهشته من هذا العثور غير المتوقع. همس "موراني": "جينساك" هذا! سأقال منه: وعندما عاد إلى مكتب الشرطة، صمم خطة ميكانيكية سهلة تخلصه تماماً من غريميه.
 بينما يعبر الدور الأرضي سمع بالعمر الجرائد ينادي:
 - اطلبوا جريدة "لا بريس" الغز بون نيف لم يعد قائماً فقد
 اكتشف قاتل السيدة الشابة.
 ارتعش "موراني". اشتري الجريدة الموسمية ونظر فيها نظرة سريعة. بعد بعض دقائق كان في مكتبه. في نفس اللحظة أعلن الحاجب عن قدوم "بورجوني". ظهر الشرطي وعلى شفتيه ابتسامة انتصار.
 - لقد اكتشف قاتل "بون نيف" قبل ستة أيام. هل أنت راض يا سيد "موراني"؟
 من هذا الرجل؟

انحنى الإيطالي مقدماً التحية. ولكن لم يتقبل "موراني" هذه المزحة. قال:
 - أين تقابلنا من فضلك؟
 قال "جاكومو" محدداً:
 - شارع "سان بييريز" منذ قليل كنت أرسل طلب قهوة وشوكولاتة من كل "دبوف" وحالياً، الأفضل في "باريس"، عندما كدت أصدمرك بدرجتي.
 - هذا صحيح.
 - لكن يجب أن تأتي في يوم ما إلى المطعم.
 غلف الحديث نوعاً من الصدقة بين الرجال الثلاثة. للاسف، كان السيد "موراني" مضطراً للعودة إلى قسم الشرطة. اعتذر وطلب من الكونت "دي جينساك" أن يأمر "راما" بإحضار أغراضه.
 قال الكونت:
 - آسف، "راما" ليس هنا الآن، لكن لا يهم، سيخبر "جاكومو" خادم الغرفة.
 وبالفعل ذهب الإيطالي وأخبر "أرسين" الذي أحضر بدوره أغراض "موراني" ، تبادل الرجال ابتسامة ساخرة.
 قال "موراني":
 - إلى اللقاء.
 أجاب "دي جينساك":
 - إلى اللقاء. وفي المرة القادمة أحضر لي خاتمي.
 - سافر في ذلك.
 سار مساعد رئيس الشرطة بصحبة "جاكومو ديللا روبيا" الذي كان يسحب دراجته في شارع "سان أونوروي" كانه يلاحظ حيواناً غريباً سال "موراني":
 - هل تحب هذه الآلة؟
 أجاب الإيطالي:
 - كثيراً، إنها حصان الغد.

الفصل الثاني عشر

هبط المساء على منزل "دي جينساك" ، في هدوء. أدخل الخادم زائرًا في الحجرة حيث ينتظره سيد البيت، ثم انسحب في هدوء أيضًا.

سال الزائر:

- نحن بمفردنا؟

- نعم، راماً يراقب عند الباب.

اقترب الرجالان من المدفأة حيث تشتعل النار. أدار الزائر وجهه نحو اللهب الذي انعكس في لمعان عينيه. قال خافضًا صوته:

- يا ابن العم أصرح لك بأن العملية قد توقفت في أدق تفاصيلها. لقد عهد إليك بخبرك: خلال أيام سيسزور "بادنجيه" مصنع "سان أوين" الذي يصنع القطارات. إنه حريص على متابعة استخدام الفولاذ الجديد الذي سبق دراسته.

- في الحقيقة إنه يبحث عن اكتساب شعبية!

- لكن هذا بالتأكيد. سيدرك إلى المصنع بدون حرس أو ما شابه ذلك. عند مخاطبة الشعب العامل يجب التخلص، عن كل المظاهر. ستعبر العربية الرسمية حاجز "سان أوين" في حوالي الثالثة بعد الظهر. ستكون خارج الأسوار في قلب السوق بين الفضوليين والمشترين والفتنيات، وبائي الصحف، وقطاع الطرق، ولاعبي الثلاث ورقات، يعني آخر ستكونون بين الجمهور.

توقف عن الحديث. ساد الصراع بين الرجلين. أغلق "جينساك" عينيه، استدعى المشهد الذي سيحدث، ورغمما عنه انقبض قلبه لفكرة أنه بكل إرادته سينهي حياة إنسان. لكن بسرعة أفاق ليس له الحق في أن يضعف.

استطرد رفيقه بصوت منخفض همساً.

- ومن هناك سيكون لك الشرف الكبير في الإطلاق على الهدف، يجب أن تتوارد في هذا السوق قبل الساعة الثالثة. وسترتكب كل شيء مع الأب "لافيسال" الذي يتاجر في الأواني

- "جاك مارتين" مدمن شراب مسكين.

ضرب "موراني" المكتب بقبضته وقال:

- كان يجب أن تخبرني قبل أن تعلن الخبر للصحافة.

دهش "بورجوني" من رد فعل رئيسه وقال:

- لقد احترمت رغبتك، ولكن عندما يرتكب واحد منا مدفوعاً

بحماسه - حماسة، لا يجب تغططيته؟

ساد الصراع بين الرجلين ثم استطرد "بورجوني":

- هل لديك قاتل آخر تريد استبداله؟

نطق الشرطي هذه العبارة في هدوء.

المعدنية القدية.

- هل حصل هذا الرجل على أوامر لمساعدتنا؟

– لا تخش شيئاً، سيكون معاوننا كثيرين وسيكون هروبك مأموناً
كما أنك ستتحرك متى كـا.

- حسن -

- كل هذا لم يكن ممكناً، صدقني، إلا بعد اختفاء عقلك، قد دفعت لك شركة تامين "اللويدز" خمسة ملايين كاملة. وهذا المبلغ قد ساعد على شراء ولاء الكثيرين! شكرًا لك باسم حركة الـ"كاربوناري" :

رفع "جينساك" رأسه كانت لحظة ضعفه قد انتهت. بصوت حازم قال:

— لا تشكرني، إني سعيد جداً لأنني تصرفت لصالح الحرية. أخذ علبة خشبية فتحها وقدم لزائره سيجاراً طويلاً واحداً هو نفسه واحداً.

في هدوء أطلق الرجال الدخان، ثم قال "الكولونيل": متذهب
عندما نخبرك إلى ابن العم "فولجنس" في شارع "فارامولاان". إنه
دياغ جلود، وهو في الحقيقة فنان لا مثيل له في صناعة الأغراض،
سيعطيك ما تستخدمه.

- حسن. ماذهب.
تابع "جينساك" بعينيه اللهي المترافق في المدفأة، فكر فجأة في
"لوسي". ألن تتعرض لخطر إذا شرك أحدهم فيه؟ كما أن "موراني"
خيّث خمس صديقه أفكاره فقا:

- لن يستطيع أحد أن يعرف أنك منفذ العملية. كن مطمئناً. ولا تقلق بالنسبة للباقي ستحرسك وسنحرس كل من تحب، عقلك في أمان، لتحيا الحرية.

قاد فيليب زائره حتى بداية الردهة ثم عاد مفكرا إلى مكتبه.
لديه بريد يحب الاطلاع عليه، ولكن بعد رحيل الكولونيل،
لتحيا الحرية.

عدل "جينساك" عن التفكير في أي شيء، شعر برغبة كبيرة في رؤية خطيبته.

على الرغم من أن الساعة قد تجاوزت العاشرة فإن الآنسة "دي سان سيلفستر" ما زالت جالسة هذا الصباح أمام تسريرحتها. انتهت الخادمة توا من تصفييف شعرها تحت القبعة بينما تقدمت "ماري الجليل" نحوها. لتشنی على جمال فستانها المصنوع من الصوف الاسكتلندي وهو آخر صيحة في عالم الموضة. كان الجو جميلاً في الغرفة حيث تشتعل نار دافئة وعلى الرغم من ذلك كانت "لوسي" تشعر .. سالتها وصفتها:

– هل أنت مصابة بالحمى؟ رما عليك العدول عن الخروج:منذ
عدة أيام وأنت شاحنة كان قلقاً شديداً بفتح باب.

حاولت الفتاة أن تبتسم.

ـ يـا لـهـا مـنـ فـكـرـةـ.

إنها تعرف على الرغم من ذلك أن "ماري أنجيل" محققة، وأن العذاب الذي يأكلها ينعكس على وجهها، وهذا العذاب يدعى "فليت".

"فيليپ" الذي بزداد حبها له كل يوم، وعلى الرغم من أنها كانت تنتظره، فإن حادث حفل الأوبراء قد سبب لها ألمًا كبيراً؛ لذلك فهي تدرك الآن كم الخطأ الذي يحيط بحسناها.

لماذا يورط فيليب نفسه في هذه المغامرة الخطيرة؟ بالتأكيد إنه يكره "بادنجيه"، وهذا حقه لكن لماذا يورط نفسه مع صفوف أعداء النظام، وهؤلاء الذين يطلق عليهم الفوضويون الشاثرون على السلطة، والذين يحاولون إبقاء بمهنة؟

نزلت في هدوء درجات السلم الحجري والذي تنتظرها أمامة العربية،
والسائق جالس على مقعده في صمت. رفع اللجام عاليا بينما فتح
الخادم باب العربية.

صعدت ماري أنجيل إلى العربية بدورها وجلست بجانب الفتاة.
خرج الحصانان في كبريه من بوابة الفتاء وسلكا شارع باك.

- أحبك يا حبيبي .
استندت رأسها على كتفه ، وأغمضت عينيها كأنها تحلم فاعادها
إلى أرض الواقع عندما قال :

- حبيبتي لقد اقتربت الساعة
لم يكمل الجملة ولكنها فهمته .
تمتنعت :

- هذه الليلة ، لم أنم جيداً عاودني الكابوس وتنتابني الهواجرس
السيئة .

عند سماع هذا الصوت تخلل العاطفة . كأنها عدو هادئ . قلب
ـ جينساكـ ، حاول الكونت في يأس محاربة هذا الشعور . عندما أحس
بأن الضعف سيتغلب عليه تصرف بحزم وتغلب الرجل العملي على
الرجل العاطفي .

- عزيزتي لوسى ، لم تخدعك الأحلام ، إنـ سليلـ جينساكـ
ليبرتيـ ، ويجب أن أنفذ الأوامر دون أن أناقشـها بما أنها ستحققـ الخير
للجميع .

رفعت جبينها ولمـعـتـ عـيـنـاهـاـ ،ـ لـقـدـ عـادـتـ إـلـىـ شـخـصـيـةـ الآـنـةـ دـيـ
سانـ سـيلـفـسـترـ الشـجـاعـةـ الـآـبـيـةـ :

- يجب ذلك يا صديقي . لقد طلبتـ منـيـ الاـشـكـ فيـكـ أـبـداـ مـهـماـ
حدثـ وـلـنـ أـشـكـ !ـ لـقـدـ وـعـدـتـكـ أـنـ أـكـوـنـ دـائـمـاـ إـلـىـ جـانـبـكـ وـأـسـانـدـكـ،ـ
وـاقـسـ لـكـ عـلـىـ ذـلـكـ أـيـضاـ .

- أوـهـ !ـ لـوـسـىـ

إنـ حـبـهـمـاـ قـدـ فـاقـ كلـ حـبـ .ـ اـحـتـواـهـاـ فـيـلـيـبـ بـيـنـ ذـرـاعـيـهـ وـظـلاـ
مـتـعـانـقـيـنـ بـرـهـةـ وـقـلـبـاهـماـ يـدـقـ مـنـ فـرـطـ التـائـرـ .ـ إـنـ إـرـادـتـهـمـاـ وـاحـدـةـ .ـ إـنـ
حـبـهـمـاـ قـدـ وـحـدـهـمـاـ حـتـىـ صـارـاـ قـلـبـاـ وـاحـدـاـ غـلـفـهـمـاـ صـمـتـ يـنـمـ عنـ
سـعـادـتـهـمـاـ الـكـامـلـةـ بـتـوـجـدـ مـصـبـرـهـمـاـ .

لـكـ الـوقـتـ يـمـرـ وـفـوـقـ المـدـفـأـ يـدـقـ بـنـدـولـ السـاعـةـ .ـ يـجـبـ أـنـ يـنـتـهـيـ
هـذـاـ الـجـوـ الرـوـمـانـيـ الـذـيـ غـرـقاـ فـيـهـ .

لـقـدـ أـصـبـحـتـ لـوـسـىـ اـمـرـأـ آـخـرـىـ .ـ لـقـدـ تـحـولـتـ روـحـهـاـ .ـ الـآنـ عـرـفـتـ

الـجـوـ غـائـمـ وـبـارـدـ وـلـكـنـ وـفـرـتـ النـوـافـذـ الزـجاـجـيـةـ الـحـمـاـيـةـ لـلـمـتـزـهـتـينـ
الـلـتـيـ وـصـلـتـ إـلـىـ "ـشـانـزـلـيزـرـ"ـ .

سـالـتـهـاـ "ـمـارـيـ أـنجـيلـ"ـ :

- أـلـاـ تـشـعـرـيـنـ بـالـبـرـدـ حـقـاـ يـاـ آـنـسـيـ؟ـ
أـوـمـاتـ "ـلـوـسـىـ"ـ بـرـأسـهـاـ .ـ هـذـاـ الـاـهـتـمـامـ الـمـبـالـغـ فـيـهـ يـضـاـيقـهـاـ ،ـ كـمـ
كـانـتـ تـحـبـ أـنـ تـطـلـقـ الـعـنـانـ لـقـلـبـهـاـ وـتـفـضـيـ بـمـاـ يـعـذـبـهـاـ إـلـىـ رـفـيقـهـاـ .
لـكـنـهـاـ وـعـدـتـ "ـفـيـلـيـبـ"ـ بـالـصـمـتـ .ـ لـاـ تـسـتـطـعـ أـنـ تـنـقـضـ وـعـدـهـاـ .ـ فـجـاءـ
نـزـلـتـ الـأـمـطـارـ لـتـخـبـطـ النـوـافـذـ الزـجاـجـيـةـ لـلـعـرـبـةـ .

قـالـتـ "ـلـوـسـىـ"ـ كـانـهـاـ سـعـيـدـةـ لـتـجـدـ الـحـجـةـ لـلـعـودـةـ إـلـىـ الـبـيـتـ :

- لـنـعـدـ إـذـنـ :ـ
فـيـ كـلـ مـرـةـ تـخـرـجـ كـانـتـ تـخـشـىـ أـنـ يـفـوتـهـاـ زـيـارـةـ خـطـيبـهـاـ .
استـدـارـتـ الـعـرـبـةـ نـصـفـ دـوـرـةـ وـبـخـطـوـاتـ صـغـيرـةـ عـلـىـ الطـرـيـقـ الـمـبـتـلـ عـادـ
الـحـصـانـ إـلـىـ مـنـزـلـ الـمـارـكـيـزـ .ـ فـنـعـ الـبـوـابـ الـبـابـ مـحـدـثـاـ أـزـيزـاـ .ـ وـلـكـنـ
كـانـتـ هـنـاكـ عـرـبـةـ آـخـرـىـ تـنـتـظـرـ فـيـ الـفـنـاءـ ،ـ تـعـرـفـتـ "ـلـوـسـىـ"ـ عـلـىـ عـرـبـةـ
الـكـوـنـتـ "ـدـيـ جـيـنـسـاـكـ"ـ عـنـدـئـذـ وـدـونـ أـنـ تـنـتـظـرـ الـخـادـمـ فـتـحـتـ الـفـتـاةـ
الـبـابـ .

غـيـرـ عـابـيـةـ بـالـطـرـقـ تـسـلـقـ بـسـرـعـةـ درـجـاتـ السـلـمـ الـمـبـشـلـ الـذـيـ مـسـحـهـ
فـسـتـانـهـاـ لـأـنـهـاـ لـمـ تـفـكـرـ فـيـ رـفـعـهـ .

لـمـ تـسـتـطـعـ "ـمـارـيـ أـنجـيلـ"ـ الـتـيـ جـرـتـ خـلـفـهـاـ أـنـ تـسـجـبـ هـذـهـ
الـخـسـارـةـ .ـ عـبـرـتـ "ـلـوـسـىـ"ـ الرـدـهـةـ بـالـفـعـلـ .ـ وـخـلـفـ بـابـ الـصـالـوـنـ الـكـبـيرـ
تـقـطـتـ أـنـفـاسـهـاـ .ـ قـلـبـهـاـ يـدـقـ بـسـرـعـةـ ،ـ وـيـدـاهـاـ بـارـدـتـانـ ،ـ وـلـكـنـ خـدـيهـاـ
مـتـورـدـانـ .ـ ثـمـ عـلـىـ الـغـورـ أـدـارـتـ قـبـضـةـ الـبـابـ الـبـرـزـيةـ .

- "ـفـيـلـيـبـ"ـ !ـ

أـرـقـتـ فـيـ حـضـنـهـ وـضـمـهـاـ إـلـيـهـ وـهـيـ تـرـعـشـ كـانـهـاـ عـصـفـورـ رـقـقـ .
أـغـلـقـتـ الـفـتـاةـ عـيـنـهـاـ وـفـقـدـتـ لـلـحـظـاتـ إـدـرـاكـهـاـ لـلـوـقـتـ وـالـمـكـانـ .

هـمـسـ "ـفـيـلـيـبـ"ـ :

- "ـلـوـسـىـ"ـ يـاـ قـلـبـيـ كـمـ أـحـبـكـ !ـ
أـجـابـتـهـ كـانـهـ صـدـىـ لـصـوـتـهـ .

عنده تملّكه خوف شديد. لقد أوصى "راما" بحراستها ومتابعه عربتها أينما ذهبت، ومن ناحية أخرى جعل "لوسي" تعدد بالاتّصال به مفردها والا تستاجر عربة أبداً.
- عزيزتي لي أعداء كثيرون كوني حذرة! هذا كل ما أستطيع أن أقوله لك.

دهشت لكل هذا الخوف، ولكنها لم تلح لعرفة السبب كانت تعرف أن عليها احترام كتمانه.
- حبيبي، سأفعل ما تأمرني به.
أسندت رأسها على كتفه في حنان.

مضت الأيام متشابهة. كانا يتقابلان ويعضيان أوقدانًا سعيدة بعيداً عن كل الأصوات.

احياناً كانوا يجلسان جنباً إلى جنب على الاريكة أمام المدفأة حيث ترافق السنّة اللهب. وبقيان صامتين لأن بينهما اتفاقاً غامضاً يمنعهما عن الكلام. ربما يخشيان هذه النهاية التي ياتي وشيكة، لحظة النهاية التي لا تعرفها بالتحديد، ولكنها تشعر بها تقترب. ذات مساء قال لها "فيليب":

- كل شيء جاهز، إنه بعد غد.
قامت "لوسي" وقد جف حلقها.
- فعلاً

لم تطلب أي تفسيرات أخرى. استنشفت من بين كلماته أن الأمر لا يمكن تخمينه. لقد أخبرها "فيليب" من قبل ولقد قبلت قدرها. ليس لها الحق في محاولة إثنائه عن مشروعه، لأنّه أصبح أرملة قبل زواجهما؟
زفرت في حزن. شعرت بالالم يعتصر صدرها فكرت: "لو حدث له مكروه ساموت".
تركـت "فيليب" بابتسمـة حزينة على شفتيـها قـامعة دموعـها. لا

أنـها قادرـة على انتـظار من تـحبـ.
افتـرقـا بـعيـان ما يـنتـظرـهـما مـن مـسـؤـلـيـةـ، وـدونـ أنـ يـضـيفـاـ أيـ كـلمـةـ علىـ حـديـثـهـماـ السـابـقـ رـحلـ "فيـليبـ" بـعـدـ أـنـ قـبـلـهاـ قـبـلـةـ أـخـيرـةـ حـانـيـةـ.

الآن لا تعيش "لوسي" إلا في انتظار اللحظة التي ستعود فيها إلى أحضان "فيليب". كانت "ماري الجيل" متواطئة معها. تخرج الفتاتان كل يوم في "باريس" للتجهيز من أجل الزواج الذي حدد له موعد في الربيع وفي الحقيقة كانت العربية تقلّهما إلى شارع "سان أونوري". بينما مجلس "ماري الجيل" في الصالون الكبير تقرأ قصة لا تنتهي، تذهب "لوسي" إلى الطابق الأول حيث تقابل خطيبها.

كان "فيليب" يجيد النطق بالكلمات التي تلمس قلبها. قال:
- يا حبيبتي أريد أن أنسج من أجلك ساعات من السعادة. نظرت إليه في نشوة، وذراعها معقودتان حول عنقه متاملة عينيه الجميلتين، غائبة عن الواقع، رافضة أن تفكّر في المستقبل؛ لأنها كانت تعرف أن المستقبل محفوف بالمخاطر، هذا التهديد الذي يشغل على حبهما و يجعلها تصطدم دائمًا بنفس العائق.

- لماذا تصر يا "فيليب" على تنفيذ هذه العملية؟
أجابـهاـ فيـ اختـصارـ:

- حبيبـتيـ سـاخـيرـكـ عـندـماـ نـتزـوجـ.
رـيمـاـ مـفـكـرـةـ فـيـ السـيـدةـ "ـدـالـبـانـ"ـ سـالـتـهـ مـادـعـةـ أـكـثـرـ مـنـهـاـ مـفـتـنـةـ!
- هلـ تـخـونـنـيـ ياـ "ـفـيلـيـبـ"ـ؟
- هلـ أـسـتـطـعـ أـنـ أـحـبـ وـاحـدـةـ غـيرـكـ؟
أـحـيـانـاـ عـنـدـمـاـ يـتـأـمـلـ "ـفـيلـيـبـ"ـ "ـلوـسـيـ"ـ يـتـذـكـرـ السـكـيـنـةـ التـيـ مـاتـتـ فـيـ "ـبـونـ نـافـ"ـ.ـ مـاـذـاـ لـوـ كـاتـ الـآـنـسـةـ "ـدـيـ سـانـ سـيلـفـسـتـرـ"ـ هـيـ التـيـ قـتـلتـ؟ـ دونـ أـنـ يـخـبرـهـ أـحـدـ بـشـيءـ عـنـ هـذـاـ فـهـوـ يـشـكـ فـيـ أـنـ تـكـوـنـ تـلـكـ المـسـكـيـنـةـ قـدـ دـفـعـتـ حـيـاتـهـاـ ثـمـنـاـ لـحـيـاةـ مـنـ تـحبـ.

أمسك بذراع الكونت، وقاده خارج المطعم مشجعاً إياه بكلمات معبرة وأعاده إلى منزله.

في شارع "سان أونوري" تخلى الإيطالي عن شاربه الغليظ. في غرفة البير تغول تماماً.

أخذ بسرعة مظهر هندي له بشرة داكنة يضع عمامة ويرتدى ملابس قطنية بيضاء. وبدل "جينساك" بملابس الجنتلمن ملابس عامل. وبعد قليل من العامل الباريسي من خلال القبو السري ومدندنا ويداه في جبيه. عبر الكونت نهر "السين". لم تكن تغطى ولكن كانت السماء مليئة بالسحب الداكنة التي انعكست صورتها على صفحات الماء في حزن.

توقف "فيليب" مفكراً ثم استأنف السير. سلك شارع "سان جاك" ثم شارع "موفيتار" كلما اقترب شعر بالارتياح تجاه ما سيفعل، فجأة وحين اقتربه من شارع "فيرامولان" دوى صوت الانفجار هائل في هذا الشارع. لقد انفجر المعمل السري في منزل دباغ الجلد "فوجناس" محطمها المنزل الذي يقيم فيه. ولقد انتزع عنف الانفجار حوائط المساكن المجاورة وتعالت الصرخات.

عم الذعر، كل واحد يجري ويسأل جاره ويتجه نحو مكان الكارثة. هناك قتلى تحت الانقاض المشتعلة وجرحى ينادون. مضت لحظة الدهشة الأولى ترافق كل سكان المنطقة متعاطفين شأن كل إنسان بسيط، ي يريدون المعاونة في تخلص هؤلاء الذين يتالمون، ويقدمون النجدة.

أخرج الكونت مع الآخرين الجثث، وقاد الجرحى إلى طبيب الإسعاف الذي تم استدعاؤه ليقدم الإسعافات الأولية. وفي هذه الفوضى فقد "جينساك" القبعة التي تغطي رأسه، وبذلك يتعرض خطراً لا يعرف.

وعندما جاء البوليس ابتعد "فيليب" في حرص، ولكن ليس

�能够把悲伤传递到他的悲伤中。但是，在那晚，她没有哭，而是选择了在黑暗中奋斗，试图从自己身上驱除悲伤。直到最后，她还是无法摆脱悲伤，于是她回到了自己的住处。

الآن تسمع صوته بعد ذلك أبداً؟ الآن تشعر بذلك قبلاته بعد أبداً؟
ظللت مستيقظة غارقة في آلامها حتى الفجر.

مضى "فيليب دي جينساك" الصباح في هدوء ظاهري على الرغم من العاصفة الداخلية التي تفتكت به وتزداد حدتها كلما اقترب المساء. قتل "باتنجيه" لن يختلف في نفسه أي ندم، ولكن فكرة أن يكون هناك ضحايا آخرون أبiera تعذبه.

على الرغم من ذلك لم يعد لديه الحق في الرجوع. لقد جاءت لحظة التنفيذ، أسرع الكونت "دي جينساك" نحو شارع "شاللو"، لقد أمطرت هذا المساء وما زالت الأرض مبللة.

توقف أمام المطعم الإيطالي الذي يلفت إليه الانظار بواجهته الخضراء. بمجرد أن رأه يدخل "البرجو ديللا ليبرتا" فهم "جاكومو" وأسرع في مقابلته في ود وحفاوة.

تشجع! تشجع! لكي تكون قوية لا يجب أن تغفل أي قوة! جذبه إلى ركن من المطعم.
جلس الكونت إلى طاولة مفروضة بمفرش أبيض. وقدم له الطعام بنفسه بعناية كأنه أمه.

ولكن لم يستطع الكونت أن يقرب الطعام فطلب شراباً ولكنه حاول جاهداً أن يبتلع الشراب دون جدو. عندئذ اكتشف أنه يحمل قنبلة في ذات الوقت الذي يحمل فيه في قلبه تلك الفتاة الجميلة "لوسي".

بني الطعام على المائدة دون جدو فقرر "جاكومو" التدخل.

الشاطئ.
وضع الكونت قدمه على الأرض. وعندما اتجه إلى محطة قطار روبل لحقت به خطوات سريعة.
خلفه تماماً ربت "مورانبي" على كتفه.
- سيد "دي جينساك" إني مكلف بالقبض عليك. تسرم الكونت وأحمر وجهه من شدة الغضب.
وحاول إلا يفقد أعصابه لكنه لاحظ وجود شخصين مما يعني أن "مورانبي" لم يأت بمفرده ليقبض عليه.
مفكراً في "لوسي" اختار "فيليب" القرار الأكثر تعقلاً. مد يده إلى القيد.
قال :
- قم بعملك يا سيد "مورانبي".
رجل "جينساك" من "باريس" وأودع سجن "لاروكيت".

بالسرعة الكافية إذ تعرف عليه أحد رجال "بورجوني".
دون أن يلقي باللوم على القدر عاد إلى بيته في هدوء من خلال عدة طرق مختصرة كالمعتاد. ولكن كان مراقبه ماهرًا أيضًا، لقد تبعه حتى باب بيته ولم يشك "جينساك" في ذلك. صعد "جينساك" إلى مكتبه حيث لحق به "راما". أخير الهندي بالانفجار الذي وقع وكلفة رسالته ينقلها إلى الآنسة "دي سان سيلفستر" وعندما تذكر دعوة السيد "شانسي" قرر الرحيل إلى "بوجيفال" في صباح اليوم التالي.
حرر التعب الآلسنة فباحثت بالكثير على أسرة المستشفى واستدعت الشرطة الكثير من المعلومات المهمة حتى إنه في نفس المساء استدعى بيترى "مورانبي". قال :
- غداً مستوقف الكونت "دي جينساك".
- بكل سرور يا سيدى الرئيس! ها قد تحققت أغلى أمنياتي أخيراً.

على الرغم من سطوع الشمس كان الجو بارداً، ومع ذلك احتشد عدد كبير من ممارسي رياضة التجديف على شاطئ نهر السين في "بوجيفال" يضحكون ويستمتعون بأوقاتهم. افتحم الفندق وطاف النَّدُل على النزلاء بالأشربة والملقبات. الرجال والشبان الأصفر سنا يدخلون، يطردون الصياديون بضربيات من مجاديفهم.
البنات يضحكن ويتحدىن بصوت عالٍ، تعقد الصداقات العاطفية، وتقطع صداقات أخرى وفقاً للعواطف، ولكن في هدوء شديد بين كل هذا الصخب، يرسم "كلود مونيه" على صفحة الماء في قاربه الذي تحول إلى مرسם.
ركب "جينساك" و "شانسي" القارب الذي يحمل اسم "بيل هلويز".
القارب يشبه طائر النورس الضخم الذي يلمس بجناحيه سطح الماء.
عندما تحول لون السماء إلى الترکواز، وصل القارب الخفيف إلى

الفصل الثالث عشر

دوى خبر الانفجار الذي حدث في شارع "فيرامولان" في جميع الصحف. مخلفاً آثاراً سلبية جمة لدى القائمين على النظام وأملاً كبراً لدى أعدائه.

أما بشان القبض على الكونت "دي جينساك" فإذا كان المسمى والحافظون قد صدقوا بذلك فإن المعارضين قد وجدوا في هذا الفعل أن الإمبراطور وأعوانه على الرغم مما يقولون يرتكبون بهذا العمل عداءهم للتقدم الاجتماعي. سليل "جينساك ليبرتى" الذي عرف بسعة افقه وتعاطفه مع البسطاء، ثارت الأحياء العمالية والفقيرة كان هناك كلمة سر واحدة تحركهم.

على الرغم من عدم تنفيذ المؤامرة بسبب خطأ ارتكبه "كاربوناري" دفع "فولجانس" عنه حياته وحياة جيرانه ويبدو أن النتيجة الكبرى قد تحققت: إن الجميع على الرغم من اختلاف آرائهم قد طالبوا بالجمهورية بدلاً من الإمبراطورية.

تكونت اللجان، وتخلل الخطباء حشود الشعب، وتحدىوا عن حماقات البلاط الإمبراطوري الغائبة لـ "بادنجيه"، وعن غرور رجال البلاط. يرهنوا على أن الإمبراطورية مهما فعلت ستختفي حساباً في خراب كبير ومدم. وأن عصر السيادة الشعبية سيبدأ على عاتق هؤلاء الذين يؤمنون بحقوق العمال وحماية المساكين.

هي رياح الثورة، رياح عام ١٨٤٨ التي أضيقت إليها الأفكار الساخرة: الغضب، العنف، ورياح أفكار "هوجو" والهجمات القاسية للصحفيين الأحرار.

يردد بفرحة كلمة "هنري روسيغور" عن الحرية وحق الشعب في تقرير مصيره. أعيد طبع وتداول أعمال "برودون" "فلورا تريستان"، ومطبوعات "كابيه".

أمام هذه الثورة العارمة والخطيرة للشعب قرر رئيس الشرطة لا يترك أي عمل لمعونيه وأن يتتابع كل شيء بنفسه.

رأى "موراني" أن سلطته تتناقض، لتحول إلى سلطات ضابط مبتدئ وإن القبض على "جينساك" لم يتحقق له ما كان ينتظره.

أما "لوسي" فإن فرحتها بأن تعرف أن خطيبها ما زال على قيد الحياة خفت من القلق الذي كانت تشعر به. إذا كان أبوها قد أظهرها حزناً كبيراً السوء حظ ابنتهما فقد حاولت "لوسي" من تاحيتها أن تسيطر على شعورها بالحزن. في كل صباح تذهب إلى كنيسة "توماس- أكين" حيث تسمع القدس.

تدعوه بحرارة من أجل السجين ولا تشک في استجابة الله. ذات يوم استقبلت استدعاء السيد "بيترى" لها في فرحة. ارتدت ملابس أنيقة لقابلة رئيس الشرطة. ذلك ليس لإغرائه، ولكن كدرب من الزهو. أرادت أن تؤكد له قوتها وصمودها وإيمانها بالمستقبل. القبض على حبيبها يعتبر تعسفاً سخيفاً كيف ثبت ذلك.

في هذه راقعة رأسها اخترت في شيء من الغرور بباب مكتب "بيترى".

دهش رئيس الشرطة قليلاً أمام هذا التصرف:
 - آنسى، من فضلك اجلس في هذا المقعد.
 أذعنت في كبرياء وقالت:

- إنيأشكرك من الإجراءات التعسفية التي تتخذونها في عملكم.
 نظرت إلى رئيس الشرطة واستطردت:

- كان يلزمكم مذنب ولذلك ظننت أن القبض على شخصية كبيرة ومحروفة سيفي بالغرض. تاكد أنها ستدبر نتيجة عكسية. لقد استدعي "بيترى" الآنسة "دي سان سيلفستر" ليطرح عليها بعض الأسئلة التي يعتقد أنها محرجه بعض الشيء بالنسبة لفتاة شابة، وها هي التي تدير اللعبة في ثقة تصيبه بالدهشة.

وبعد نصف ساعة غادرت "لوسي" مكتبه وشعر رئيس الشرطة بالفشل في مهمته.

لم يجدوا شيئاً في منزل "جينساك" لا كتابات ولا إشارات ولكن الكثير من الرماد في غرفة "البير"، مدير المنزل. لكن علم بورجوني من الطباخة أن راما لم يظهر منذ الليلة التي قبض فيها على الكونت، وأما السائق فقد أخبره بأن يسأل صاحب المطعم الإيطالي الذي يعرف بالتأكيد الكثير عن هذا الشأن في مطعم "البرجو ديللا ليبيرتا" في شارع "شاللو". لم يلاحظ المراقبون أي شيء غير طبيعي في غياب "جاكومو" لقد تحول مطعمه إلى ملتقى الكتاب والفنانين.

يأتي إليه تيفو فيل جوتبيه ليأكل الإساجتي. يدفع الرسامون ثمناً لوجباتهم. عندما لا يجدون المال. رسوماتهم التي يقبلها صاحب المطعم في سعادة ويقول لكل من يأتي إلى المطعم:

- أصبح لدى معرض للوحات. وأنا الكسبان.

لم تخرج الشرطة بشيء من استجواب "جاكومو ديللا روبيا" ولا الخدم الذين يعملون في منزل "جينساك".

ومن ناحية أخرى فإن الإيطالي يتبع القوانين ولا يؤخذ عليه شيء سواه في شخصه أو في محله. ولا يوجد سوى علاقته بسيده القديم وهذا يرجع إمكانية معرفته بالنشاط السري لسيده.

وكذلك اختفاء لساعات طويلة وإجادته الهروب من مراقبة الشرطة؛ لذلك تختتم مراقبته دون النظر إلى آراء وتأكد زبائنه.

في رقم 9 شارع "هيلدر" لم يبعد هناك "الكولونيل" ، لقد رحل الضابط القديم دون أن يترك عنواناً تاركاً شقة خالية باستثناء البروفيه الذي تحتوي على بعض الأطباق وزجاجات الشراب. ومن المعلومات التي جمعتها الشرطة فإن هذه الأغراض ترجع ملكيتها لصاحب الشقة الذي أجرها للكلولونيل.

عند سماع أخبار الانفجار في الجرائد رحل معاوناً الكلولونيل على الفور وتخلل كل منهما بحجة، الأول بأن الطبيب قد وصف له هواء الجبل؛ وإذا أراد إلا يكون فريسة لموت محقق؛ فيجب أن يرحل إلى جبال الألب حيث يتساقط الثلوج الدائم، والآخر صرخ بأن ابن أخيه سيتزوج في "سان بريوك" ويجب أن يحضر الزفاف، وأنه سينتهز هذه

عند خروجها من المكتب الكثيف امتنعت "لوسي" عن تقبيل السيد "موراني" الذي تصادف مروره أمام المكتب.

كل المقربين من الآنسة "دي سان سيلفستر" قد دهشوا من التغيير الذي طرأ عليها. اكتسح وجهها الرقيق بقناع حيوي. أصبح صوتها أكثر وضوحاً وقوة. عندما تدخل في محادثة تؤكد على كلماتها وتزيد عباراتها، وهذا ما أدهش "ماري أنجل" التي قالت:

- يبدو أن هذه الحمقاء الصغيرة فخورة بأن خطيبها المتآمر في السجن!

زارت السيدة "دالبان" أيضاً مكتب رئيس الشرطة رغم أنها، ومنذ ذلك الحين ازداد اقترابها من الآنسة "دي سان سيلفستر". وتعددت لقاءاتها.

قابلها السيد "موراني" مرتين لم تقابل تحيته سوى بمنظرات الاحتقار. شعر الضابط الكبير بحرارة كبيرة، لقد أدرك أنه بالغ في تقدير نفسه عندما حلم بأن يعزز فتاة تنتهي إلى الطبقة الاستقراطية في المجتمع في حين أن ليس له الحق إلا في الساقطات.

لقد أثار هذا الشعور يأسه وغضبه فقد صوّبه وراح يسيء معاملة رجاله، يضرّهم ويهدّهم ويسبهم، ولم ينجح سوى في حصد كراهيتهم.

انتشرت وحدات من الشرطة في كل أنحاء "باريس". وانتشرت الوشاية، هذا الرفيق الخلص لكل أنظمة الحكم المسلط. لأسباب تافهة ومثيرة للسخرية؛ أبلغ مواطنون وأناس بؤساء عن كل ما أرادت الشرطة، والنتيجة القبض على "أبريهاء" واقتنيادهم إلى أقسام الشرطة وسؤالهم وسوء معاملتهم ثم زجهم في السجن.

ارتفاع صوت جول فافر ضد هذه الانتهاكات يسانده صوت الحامي الجمهوري "جامبيتا" ، ولكن لم يسمع أحداً منها، تمسكت الإمبراطورية بسياستها دون أن تusal نفسها مرة واحدة إذا كان سير الأفكار والوقت لن يقودها إلى الهاوية.

وبما أنهم يحتاجون إلى وثائق للإدانة أمر السيد "بيترى" بالتفتيش.

يقلقا.

ذهب إلى المكان المخصص للاعتراف. عندئذ ظهر من سبق
وحدثها:

- آنسني يجب إنقاذ سيدى الكونت وإخراجه من السجن:
هذا هي رغبتي الوحيدة.

تابع الحديث في همس.

لقد خططت الجماعة خطة. "لوسي" أيضا يجب أن تتحرك، إنها لا
تشك في أن الله سيقبل دعاءها.

عندما تركت الكنيسة شعرت أن شيئاً ما بداخلها قد تغير.

الفرصة ليغادر العاصمة نهاياً ويتفرغ للصيد في البحر.
فقط "بيمليون دوفيس" الصديق الثالث للكولونيل فقد عثروا عليه
في كنيسة "سان جرفيه".

أجاب الرجل على أسئلة "بورجوني" بسذاجة بالغة لما دفع هذا
الأخير إلى أن يسأل نفسه ما القائدة التي كان يحصل عليها
"الكولونيل" باستقبال مثل هذا الأحمق في منزله كل يوم. استمر
التحقيق.

وأصبح من الصعب الكشف عن المتهمين لجماعة الفحامين، لم يعد
براهم أحد في المدينة، ولكن من الممكن الإحساس بهم في كل مكان
في الفظ.

اصر "بورجوني" على النبش فيما نشهه من قبل و"مورانى" لا يهدأ
أبداً، ولكن فكر رئيس الشرطة في ضعف السلطة الحاكمة وقوه
المعارضة، خاصة عندما تكمن في غبار الوثائق المكتوبة. شعر أكثر
فاكثر بإمكانية انتصار الآنسة "دى سان سيلفستر".

هذا الصباح عندما توجهت إلى القدس الساعة السابعة مع "ماري
أنجيل"، تعرفت "لوسي" على هيئة "راما" في ركن من شارع "سان
جيبرمان". هذه الرؤية سببت لها الاضطراب. تواجدت بالقرب من
كنيسة العذراء، في ضوء الشموع المترافق الذي انعكس على وجهها،
شعرت بأنها تضعف، ذلك لأنها تشعر بوجود الرجل خلفها.

عندما دق جرس القيام لاحظت وجهاً يميل نحو يمينها. ارتعشت
لأنها لا تشک في أن الأمر يتعلق بـ"فيليب".

همس الصوت:

- دبري أمرك حتى تكوني بمفردك عند الخروج.
انتهي القدس وهي تشعر بالقلق والأمل في ذات الوقت.
قالت:

- "ماري أنجيل" أرحب في الاعتراف عودي وأخبرني والدي حتى لا

الفصل الرابع عشر

وضع "جينساك" في حجز سجن "لاروكيت" في انتظار نقله إلى زنزانة، وقد وجهت له تهمة التآمر ضد أمن البلاد، والشروع في قتل الإمبراطور.

عند معرفته بخبر القبض عليه صاح "إمبل أوليفييه" قائلاً:

- أخيراً إن هؤلاء النبلاء يقتلون الإمبراطورية الليبرالية! راقداً على سريره الخشبي في سجنه ردد السيد "جينساك" أبيات شعر كان قد حفظها.

الماضي يحكم وهو يهددنا
والعرض هو أول رعاياه

وبعد سipضع أسنانه الخامسة
على الفكر الإنساني الذي يزعجه

ثم ارتسمت في مخيلته صورة "لوسي"، الآن وهو في السجن فهو متتأكد أن هذا البعاد سيعمق شعور الفتاة تجاهه. إنه لا يشك في أن أعضاء الجماعة الثورية التي ينتمي إليها لن يتاخروا فيبذل كل ما لديهم لفك أسره. في نومه، تهيئ روحه ليرى سقوط الإمبراطورية ومولد الجمهورية الحرية التي هي حلم الجميع تراءى. أعاده في صورة الآنسة "دي سان سيلفستر". يزفر ثم يستيقظ ليرى نفسه بين أربعة حواطط فينفجر في ضحكته: ويقول:

- قريباً! قريباً!

في الصباح بعدما تناول الحساء والخبز وزجاجة الماء من خلال الفتحة التي بالباب الحديدى نظر الكونت إلى زجاجته الفارغة. لاحظ وجود أرقام محفورة حديثاً في قعرها بسن سكين.

في البداية لم يعن له ذلك شيئاً لكن مفكراً بدل هذه الأرقام بالأحرف المقابلة في حروف الهجاء وحصل على كلمة: "اليوم": (Aujourd'hui)

قذف "جينساك" بالزجاجة إلى السقف وأخذ يخط على سريره

الخشبي ويصبح:
- ليسقط بادنجيه! ليسقط بادنجيه!
في نهاية الردهة جاء الحارس. فتح الباب.
صالح:
- الم تنته؟ اسكت وإلا ناديت الحارس ليجعلك تهدأ.

ثم اقترب منه وهمس إليه:

- هل قرات ما نقش على زجاجتك?
صمت الكونت دهشاً ولم يتحرك. وما أنه كان متسلكاً ظاهر بأنه لم يسمع شيئاً.

استطرد الآخر بصوت منخفض:

- يا ابن العم، اسمعني: اليوم سبتم نقلك إلى "مازاس" حيث لن تصل: - لماذا؟

- سيقع حادث في الطريق. الجماعة لن تخلي عنك. دون أن يضيف الكلمة أخرى خرج الحارس من الزنزانة وأغلق الباب بإحكام. أو ما الكونت برأسه. جلس مستداً ذقنه على يده: الحرية! الحرية! ابتسם، الحرية؟ لا: "لوسي دي سان سيلفستر" وتمدد على سريره، وأغمض عينيه ليحلم.

ظهراً، فتح باب زنزانته، دخل رجلان، قال الأكبر سناً:
- اتبعنا.

نفذ ما أمره وسلكاً ردهة السجن حتى استقبله رئيس الحراس، له ذقن قصير خلف مكتبه.

- سيد "جينساك"، أخبرك بأنك ستنقل إلى "مازاس".
دفع إلى عربة تشبه الزنزانة كانت تنتظره في الفناء، بسرعة بطيئة نزلت العربة شارع "لاروكيت" متوجهة نحو ميدان "لاباستيل".
الورش صامتة يبدو أن هذا الشارع الذي كان يضم بالعمل قد استسلم للراحة. الطعام الصغيرة متلقيه بالرجال الجوعى بينما تتناول الخيول الطعام في الموقف، ورؤوسها في حقائب البن.

- أريد شالا من الهند.

قدمت لها البائعة أجمل ما لديها، أمام هذه الأقمشة متعددة الألوان تخيلت "لوسي" "فيليب" لم يكن أكثر سعادة في هذه البلاد البعيدة؟ لقد عاد إلى فرنسا ليحقق حلمًا كبيرًا، فرجواه في السجن المظلم، وربما يصبح الأمر أكثر سوءًا مالم تنجع الخطة.

سالت دمعة على خد الفتاة والخروف الذي لم يغادرها منذ ثمان وأربعين ساعة قد اشتد الآن.

قالت البائعة:

- هذا الشال رائع ليس كذلك؟ يبدو أنه قد صنع خصيصاً لأنستي.

ارتعدت لأن البائعة قد أعادتها إلى أرض الواقع. لم ترد "لوسي" أن تضيع وقت العاملة البسيطة وقالت:

- أرسله إلى منزل السيد المركيز "دي سان سيلفستر" شارع "دي بالا".

قالت البائعة التي تعرفت على الفتاة:

- أعرف.

غادرت التجربة تبعها "ماري أنجيل" صامتة.

- الآن ستتركيني.

قالت الفتاة التي نشكت فيما عليه "لوسي":

- آنستي كوني حذرة! إذا حدث لك شيء سيئ من سيدتي وسيدي.

أضافت الوصيفة خالفة وهي ترغب في إثناء سيدتها عما ستفعل:

- هذه الأعمال ليست من شأن النساء.

تكلمت شفتا "لوسي" وقالت:

"ماري أنجيل"، أنا لا أقبل منك النصائح، افعلي ما أمرك به، تقدمت في كبريات وأشارت إلى عربة.

اندست في العربية، وقالت للسائق:

- رصيف "لوتال دوفيل" في زاوية شارع "لوبو".

ما زال هناك عدد قليل من الأطفال يلعبون في انتظار الفترة المسائية في المدارس. وتنجح بعض السيدات إلى الخباز. الجرو جميل وهادئ، ولكن لم يشعر "جينساك" بأي شيء في قلب العربية الزنزانة، إنه يتمنى وينتظر التحرير. حتى إذا كان ثمن ذلك ألم أو جرحًا.

يداهما مثلجتان وقلبهما يدق في صحب حاولت "لوسي" هذا الصباح محاولات تفوق طاقة البشر حتى تبدو هادئة، لقد جاء اليوم الكبير. لا يجب أن تفقد أعصابها. تتجهت بزيارة راهبات "الأوفروار" في شارع "مدام"، ارتدت فستانًا بسيطاً رماديًا، وعلى رأسها قبعة صغيرة.

على الرغم من رطوبة الجو وضعت على كفيها شالاً خفيفاً. لا أحد يستطيع أن يعرف في هذا المظهر البسيط الأنثى الآنسة "دي سان سيلفستر".

- ماري أنجيل" أذهبني حتى "بون مارشيه" انتظري حتى الظهر ثم تعودين إلى البيت وتخبرينهم أنك فقدتني في الزحام. اعترضت الوصيفة المسكينة، وقالت:

- لا أستطيع أن أفعل شيئاً كهذا.

قالت "لوسي":

- الأمر لا يتعلق بما تستطيعين أن تفعليه وما لا تستطيعين فعله، نفذني أوامرني.

هذه الثيرة مختلفة تماماً لطبيعة "لوسي". فلم تجرؤ "ماري أنجيل" على الإصرار. وصلت الآنسانة إلى التجربة على الشاطئ الأيسر. ذهبت "لوسي" إلى قسم البضائع الهندية، أخذت نقلب في الأقمشة دون أن تحدد اختيارها.

انتظرت تلهم بسلسلتها الذهبية وتخرج من وقت لآخر الساعة التي وضعتها في حزامها. إن العقارب تتحرك في يطاء. إن قلة صبرها قد جعلتها تخرج من المنزل مبكراً.

قالت للبائعة:

غضباً واندفع يجري. لم يستطع قائد عربة السجن أن يلاحظ الخطأ الذي يتنتظره، إن الاصطدام مؤكد! تعلق السائق باللجمام وانزلقت يده فسقط وأصطدم رأسه بالرصيف وبقي ممدداً على الأرض فاقداً الوعي. وأصطدمت العربة بمقدمة عربة السجن. تحت وطأة الصدمة، انقلبت العربة وسط صوت وأصطدام هائل تشبّكت الحيوانات وسقطت البراميل.

على الفور ظهرت الرؤوس من النوافذ وازدحم الشارع بالفضوليين.
- اقطعوا الجبال وحرروا الحباد.
- ساعدو الرجال.
- ساعدووني.

- السائق ساقه مكسورة والضابط الذي معه فقد الوعي.
- فتشوا لأبد أن هناك مساكين بالداخل.

من داخل عربة السجن المقلوبة استطاع رجال أقواء أن يخرجوا الحارس قائد الوعي والسيد "دي جينساك" ومن حسن الحظ أنه لم يصبه خدش.

بينما اهتم آناس طيبون بالجياد، تم نقل الجريح عند ناجر المشروبات القريب.

السائقان والضابط والحارس ممددون على مقاعد بينما امتلا المكان بالفضوليين.

اتجه "جينساك" إلى الداخل دون أن يلاحظه أحد. أمسك رجل عجوز منحني الظهر بذراع الكونت وعبر به إلى خلف المتجر حيث المطبخ الذي كان خالياً لحسن الحظ.

يمجرد أن أغلق الباب انتصب الرجل متخلصاً من مظاهر كبر السن التي تنكر خلفها. إنه صديق الكولونيل الثالث. "تيموليون دوفيس".

وبسرعة خلص الكونت من قيوده ثم سكب بعض الشراب في كوب.

- أشرب سيسعرك ذلك بتحسن. هل تشعر بتحسن؟
- نعم شكراً.

- والآن لننسى، يجب إحراق قبعتك في الفرن من فضلك.

بينما ابتعدت العربية خلعت "لوسي" قبعتها ووضعت غطاء رأس كانت قد أعدته ثم ألقى على كتفيها الشال. فتحولت إلى سيدة بسيطة. ميدان "لوثال دوفيل" صاحب جداً بذلك تستطيع أن تختفي في الزحام إذا كان "موراني" قد أرسل من يراقبها. توقفت العربية في شارع "لوبو".

عندما خرجت من العربية دهش السائق عندما لم يتعرف على السيدة التي ركبت معه منذ قليل. فكر في أنها قد تكون على موعد غرامي وأرادت إلا يعرفها أحد، ولم يبحث عن أي تفسير آخر. تقدمت "لوسي" في حيوية إلى ميدان "سان جيرفير" والتفتخلفها عدة مرات، وتأكدت أنه ليس هناك من يراقبها. ها هي الكنيسة، دخلت بسرعة تحت القباب المظلمة.

في نفس اللحظة ما زال "فيليب دي جينساك" في عربة السجن يعرف أن اللحظة قد اقتربت.

شارع "دي لاب" وقفَت عربة محملة ببراميل فارغة أيام متجر بقالة. كان السائق يتفقد في مفكرةه أماكن التسليم ويراقب بعيشه الزاوية التي يشكلها تقاطع شارع "دي لاب" مع شارع "لاروكيت".

في ركن الشارع تماماً كان يقف عتال ينفل حمولة حديد من عربة طوبيلة ليلتقط أنفاسه ويستريح قليلاً بعد أن تخلص من حمله الثقيل، وأستنه إلى الحائط.

ها هي عربة قادمة من شارع "لاروكيت"، رفع العتال يده اليسرى ووضعها على رأسه.

فجأة دس السائق الأجندة في جيبيه وأمسك اللجمام وصاح "شيء"! لحسانه. تأرجحت العربية.

ماذا يحدث؟ بدا الأمر غير مفهوم. تحرك الحصان في عنف كان أحدها وخره رافقاً خلفه العربية والبراميل.

بغير جドوى شد السائق اللجمام محاولاً تهدئة ثورة الحصان. ولكنه ازداد

حسن، سالبست.

فتح "تيموليون" الدولاب، كانت هناك ثياب كاهن معلقة ومعها كل ملحقاتها. الحزام، القبعة

- بسرعة، بسرعة!

اذعن "جينساك" وعندما انتهى ضحك قائلاً: "الكافن" دى جينساك

ولزيهد من إتقان التفكير حلق الكون ذفنه. الفى "تيموليون" بالشعر في النار وانحنى من جديد عائداً إلى هيئة الرجل العجوز. أمسك بذراع الكافن وفتح باب المطبخ وعاد إلى الزحام. ما زال الزحام كثيفاً.

قال:

لا يا سيدى الكافن، نشكرك كثيراً على مبادرتك، لكن هؤلاء السادة على الرغم من الحادث ما زالوا أحياء.

لخروج من هذا الزحام حتى لا تصاب ملابسك باذى. تحت هذه الحمامة خرج الكافن ورفيقه من شارع "لاروكيت" تماماً عند وصول الشرطة. بدون قلق وصلاً إلى ميدان الباستيل حيث استقللاً عربة أزلتهما أمام كنيسة "سان جرفير".

الفصل الخامس عشر

جلست "لوسي" تبتهل وبدها معقدتان، متوترة وخائفة القوى. في الكنيسة الكبيرة الساكنة كانت تسمع دقات قلبها. لمعت نار القنديل في الظلام كأنها نجم الأمل.

- يا إلهي ألمه ألمج هذه العملية

طال انتظارها وبدها كأنه لا نهاية له. الجناح الكبير من الكنيسة خال تماماً مثل نفس الفتاة التي يعتصرها القلق.

منذ كم من الوقت وهي هنا؟ نصف ساعة؟ ربما ساعتين، إنها لا تستطيع أن تحدد. فتح الباب الآيسر ببطء كما أخبرها "راما".

دخل رجلاً دون صوت، تسارع بضم "لوسي" التفت ولكن تبع الأمل خيبة أمل، إنه كافن يرافقه رجل عجوز إنهماليسا هما.

شعرت "لوسي" بضمة؛ لأنه إذا كان "فيليب" يخبر لكان هنا الآن. حائرة جشت على ركبتيها على البلاط البارد.

- إلهي أرجوك أنقذه.

همست تدعوا الله عندي وضفت يد على كتفها. دهشة رفعت رأسها، مال نحوها الكافن في ضوء خافت للقنديل، نظرت إلى هذا الوجه جحظت عيناهما غير مصدقة، وهي تسأل نفسها إذا كانت فريسة حلم.

- "فيليب" أنت

لقد تعرفت على الكونت دى جينساك تحت هذه الملابس.

- "لوسي" حبيبتي تعالي.

تبعدت ولكن كان انفعالها شديداً حتى إن ساقيهما قد حملتها بالكاد. ظل رفيق خطيبها بالخلف.

وصلـا إلى مكان في مأمن عن الانظار. أمسك الكونت بد "لوسي" وأخيراً سألهـا:

- هل أنت مستعدـة للرحـيل إلى "بلجيـكا"؟

تمـنت:

ولمعرفة المذنبين تمت مضاعفة عدد رجال الشرطة في الاحياء الفقيرة كما
قدموا لهم - في سخاء - الطعام والشراب.

في صباح يوم السبت التالي كانت السيدة "دالبان" عائدة من التسوق راكبة عربتها عندما توقفت في تقاطع طرق تقابلت فيه عربتها مع أخرى متوجهة إلى خارج العاصمة. كان سائق العربية يرتدي ملابس رثة وعلى رأسه القصير قبعة قديمة وفي يده سوط. وله ذقن صغير وشارب نابت وعلى عينيه اليسرى رباط.

ينظر عينيه السليمة للمارأة في لامبالاة. ارتعشت "صوفى" فجأة. هذه العين الخضراء تعرف كلاهما على الآخر. كادت تفقدوعيها. فجأة اجتمع بداخلها كل حبها وكل كراهيتها. إنه ذلك الشخص الذي احتقرها، ها هو تخت رحمتها هل ستنتهز الفرصة لتنتفقم منه؟ هل تنادي وتشير إلى العربية؟ سببتهي أمر "جينساك" الذي أهانها، والذي بدون شك سيلحق بمن يحب. تلك التي تدعى "لوسي دي سان سيلفستر" التي رحلت في رحلة منذ يوم الخميس سراً وذلك يوافق اليوم الذي هرب فيه "فيليب"!

صاحت "صوفى" :
- إدموند .

- سيدتي ماذا هنالك؟
التفت إليها الخادم وأوقف السائق العربية.
عقدت "صوفى" يديها وفقدت صوتها. فكرة أن ترتكب هذا العار عقدت لسانها.

قالت وهي تغلق عينيها لتختفي دموعها:
- لنعد بسرعة.

عبر الكونت ورفاقه حاجز "أستيرير" واختفوا في الضاحية، لقد نجا "فيليب دي جينساك" أو كاد.
تنقل "فيليب" من مدينة إلى مدينة ومن ضاحية إلى أخرى حتى

- "بلجيكا"؟ متى؟
- اليوم سيتحرك القطار الساعة الرابعة ستنتظري بي في "لييج".
- ألن ترحل معى؟
- لا. سيكون من الخطير أن أسافر، سالحق بك بعد أسبوعين، لكن هل لديك الشجاعة للابتعاد عن كل عائلتك؟
- أجبت ناظرة إليه :
- كيف تستطيع أن تسألي هذا السؤال. هل أستطيع أن أعيش بدونك؟

أدرك أن جبهما ينتصر على كل العوائق. عندئذ قادها في رفق حتى الباب. كان رفيقه ما زال في الانتظار. قدمه إلى خطيبته.

- السيد "تيموليون دوفيس" ، الآنسة "دي سان سيلفستر" سيقودك السيد "دوفيس" عند صديقنا "الكولونيل" الذي سيعتني بك طوال الرحلة.

وقفت عربة أمام الكنيسة، افترق "فيليب" و"لوسي" ، جلس السيد "دوفيس" بالقرب من الفتاة وعندما تحركت العربية رأت "لوسي" الكاهن يختفي في زاوية الشارع. إنها آخر رؤية لحبيبها.

شعر الإمبراطور باستثناء كبير لهروب "دي جينساك" ، ثار السيد "بيترى" ثورة عارمة وانهerà "مورانى" بهذه الجرأة وبدأ يرى تميزاً في عدوه اللدود.

شعر الشعب بسعادة وضحكوا من قلوبهم لأن كل فشل للسلطة يعد انتصاراً لهم. ذلك لأنه ليس من المعقول إدانة سائق عربة البراميل ولا صاحب متجر البقالة.

وعلى الرغم من ذلك فقد كان هناك يقين بأن ثمة توافقاً في هذا الحادث، وأن الجمهور قد ساعد على هروب السجين كما يساعد الآن في اختفاء المذنب. ونتيجة لذلك يجب الاتصال بأمان الشر عميق.

دق الجرس وفتحت خادمة تضع على رأسها غطاء أبيض.
- هل الكولونييل "تالور" موجود؟
أدخلته الخادمة صالحونا صغيراً مزدحماً بذكريات عن الثورة الفرنسية
وبالتاكيد أحضرها صاحب المنزل.

قالت:

- سأخبر ميدي،
إن صوت الأقدام الآتية ليست لرجل.
- فيليب.

إنها "لوسي" بشعرها الأشقر المنسدل على كتفيها ووجهها الجميل.
أسرعت إلى في شوق وضمهما الكونت إليه في حرارة.

- حبيبتي
سعادتهما باللقاء جعلتهما يتمتمان بعبارات غير كاملة وكلمات
بدون بقية.

- "لوسي" كم أحبك
بعد قليل جاء "الكولونييل" ليُنضم إلى العاشقين. عندئذ أخبرت
"لوسي" فيليب بمدى العناية التي أحاطتها بها هذا الرجل، والذي ما
زال يعتني بها بعد أن قدم لها على هذه الأرض الغريبة منزلًا ينعم
بالدفء العائلي.

أو ما "الكولونييل" برأسه. وقال:
- هذا المنزل المتواضع لا يقدم لك الرفاهية والراحة التي تنعمين بها
في بيت والدك الماركيز.

عند هذه الإشارة اكتسى وجه "لوسي" بالحزن. إنها تفكير في
والديها. بالتاكيد لقد أخبرتهما بسفرها ولكنهما إذا كانوا مطمئنين أنها
في أمان، فهذا لا يمنع أن كرامتهما قد جرحت بهروبهما هذا الهروب
الذي يعتبر عاراً على جبين الأسرة.

قال "فيليب":

- حبيبتي. يجب أن نسرع بعقد زواجنا، لا نستطيع أن نعيش
بشكل غير شرعي.

وصل إلى "مونكورنيه" وسط مجموعة العمال. ثم في ملابس عامل
صعد إلى هضبة "روكروا" وطاف في حرص حول المدينة الحصنة وسلك
الطريق المؤدي إلى "بلجيكا". وصل متبعاً التفاصيل التي وضع لها
حتى وصل قرب الحدود.

كان المنزل قبل الأخير مبني كبيراً من الطوب الأحمر. دق
"جينساك" على الباب عندما اقترب المساء.

سأل صوت حاد:

- من؟

أجاب الكونت:

- جئت من أجل الحيوانات.

- ماذا اخترت؟

- الماشية.

فتح الباب.

وجد السيد "دي جينساك" نفسه أمام رجل ضخم الحجم دخله
بحفاظه بالغة، وقال له في لطف:

- أهلاً بك أنا جندي قديم للكولونييل. لقد أبلغت بقدومك وكانت
انتظرك. ستجد في غرفتي ملابس لترتديها. بعد العشاء، ستعبر
الحدود.

في نفس الليلة عبر "جينساك" الخط الفاصل بين "فرنسا"
و"بلجيكا".

أخيراً الحرية! الحرية!

في الصباح الباكر توجه من خلال "دينانت ونامور" إلى عاصمة
"فالوني" وهي غاية رحلته.

ووصل إلى "لييج" بعد سبعة عشر يوماً من هروبه.



سقطت أمطار خفيفة هذا الصباح، وتوقف المسافر أمام بيت رمادي
صغير.

"الكولونييل" محق. الاخبار الاولية مشيرة لحقيقة الامل، وعم المزن منزل "الكولونييل" الصغير. وبسرعة علموا ان الجيوش الالمانية دخلت فرنسا. وأخبرهم "جاكومو" ان السيد "شانسي" كان على رأس الرجال الذين قتلوا.

قال "جينساك":

- نحن لا نستطيع ان نجلس هكذا. لنفكر في مواطنينا المساكين.

أجاب "الكولونييل".

- نعم لنتحرك.

ترك الصديقان "لبيج" مع "لوسي" التي لم تستطع ان تترك زوجها في هذه الظروف التعسة.

عبروا الحدود وبسبب الفوضى التي عمت من جراء الغزو توجهوا مباشرة إلى "باريس" المهددة.

في أحد الايام الباردة اصطحب "فيليپ" "لوسي" إلى كنيسة "سان بول"، كان من الصعب تخيل ان تقبل "لوسي" زواجهما بغير احتفال كبير. أين حفل الزواج الذي كانت تحلم به؟ لحسن الحظ ان الحب يلقي بظلال الفرحة على أبسط الاشياء، ويزين بالزهور أكثر الطرق قسوة لهذا السبب شعر الاثنان بسعادة بالغة.

رتب الشابان حياتهما المستقبلية.

"فيليپ" فقير، لقد صادروا كل ممتلكاته ولم يستطع ان يخرج شيئاً. باستثناء بعض المال وعقد "المهراجا" الذي كان يحتفظ به "الكولونييل". ولكن كان الكونت مقتنعاً ان هذا العقد الذي دفع شركة التأمين تعويضاً عن سرقته لم يعد ملكاً له. إما أن يسلمه لشركة التأمين أو يدفع المبلغ الذي أخذه عندما تتحسن أوضاعه. لحسن الحظ في هذه المنطقة الصناعية قابل رجالاً لهم مثل افكاره. بسرعة اكتسب علاقات صداقات كثيرة قلل من قسوة الغربة.

بغضل مساندة بعض السياسيين البلجيكيين حصل "جينساك" على عمل في الحالات، أما "الكولونييل" فقد تخرج في إدارة مكتبة شعبية. تسلم الكونت رسائل من "فرنسا" بانتظام. رسائل من أصدقاء وزملاء ظلوا في الفلل يكتبون إليه باخر أخبار الإمبراطورية. مما كان يثير عاطفة "فيليپ والكولونييل" وحيثهما إلى وطنهما الام. كان الوقت يمر ثارة بسرعة وتارة ببطء شديد وفقاً لزاجهما، إما يستمتعون أو يتallowون. انقضى عام ١٨٦٩، ثم جاء عام ١٨٧٠.

قبل "إميل أوليفيه" الحرب ضد "بروسيا"، وأكد الماريشال "لوبيف" أنه لن يفقد جندياً وليس "بادنجيه" ملابس الحرب.

قال "جينساك" ثائراً.

- إنها جريمة! جريمة!
أجاب "الكولونييل":

- إنها نهاية الإمبراطورية. لما يتأمل التفرق العربي وستهزهم "فرنسا". إنه الوقت الذي يجب أن تكون فيه أقوىاء يا "جينساك" ونفكر في الجمهورية.

الفصل السادس عشر

الخونه الذي كان يراقب المعركة من بعيد.
يمجرد أن خوا الأعداء جمع الفدائين رجالهما واختفوا ورشقوا الأعداء بوابل من الرصاص، ولكن انتشر البروسيون بدورهم واندلعت معركة حامية الوطيس فقد فيها رجال المقاومة الفرنسيون الكثير من الرجال، وعندما نهض "جينساك" ليدعور رجالة للتقدم كان هدفا سهلا لرصاص الأعداء، إذ أصابته رصاصة في ساقه وأخرى في صدره، سقط "جينساك" فاقدا توازنه، عندما رأى "الكولونييل" صديقه يسقط قال أمراً:

- ارفعوا الضابط "جينساك" واتروا به بالقرب مني.
زحف أحد المتطوعين متفاديا رصاص العدو حتى وصل إلى الجريح وجدية برفق وهو لا يزال يزحف حتى وضعه بالقرب من "الكولونييل".
بدأ الألم واضحا في عيني الكومنت الخضراوين، إذا كانت شفتها تكتمان الألم فإن جروحه لا تكتم الدم، في ملابسه الممزقة الخضراء بالدماء يبدو الكومنت أكثر نبلًا من مظهره في منزله في شارع "سان أونوري" ، وأكثر إنسانية مما هو عليه عندما يزور الأحياء الفقيرة التي يسكنها المؤمن.

لكن أمام تقدم العدو وتفوقه المتزايد اضطر الكولونييل والغضب يعتصره أن ينسحب شيئا فشيئا، لحسن الحظ هبط الليل فاستطاع "الكولونييل" أن يرفع الكومنت على كتفيه وأشار بالانسحاب وبدأ السير في الظلام الأصحاء يحملون الجرحى، بقليل من الصخب سار القناصة في طابور بعيون وآذان يقظة، بما أنهم يعرفون المنطقة استطاعوا أن يتسللوا بين وحدات العدو، كان عليهم أن يصعدوا وينزلوا ثم يعودوا الصعود والتزول لهم يتحسرون الطريق بارجلهم وأيديهم، يعبرون الحقول والحدائق، يخترقون الحواطط، يقفزون الحواجز؛ ذلك لأنه من الأفضل تجنب الطرق التي تتردد عليها الدبابات.

كل ذلك جعل التقدم متعبا للغاية، بدأ بعض الرجال يفقدون قواهم تحت أحمالهم، دخل القناصة الغابة، اتخذوا من منزل صغير مكانا للتمريض، استخدمو الأناث الذي

استمرت أعمال المقاومة ضد الغزو، تشكلت مجموعات المقاومة التي كانت تخرج من بين الغابات، وتباينت الصنوف الخلفية للعدو أو الوحدات الصغيرة المنعزلة تقتل وتُقتل، وعندما تستطيعأخذ جراحها تختفي لتجتمع من جديد وتعاود الكرة كأنها قد استسلمت للعبة شيقة وخطرة.

مع هؤلاء الرجال الشجعان لم يعرف الجنود الالمان الراحة، إنهم لا يخشونهم فقط، ولكنهم كانوا يكرهونهم، عندما يقبض على أحد هؤلاء القناصة حيا كان يقتل على الفور.

مزرودة بالقناصة هجمت المجموعة التي يقودها "الكولونييل" على إحدى المجموعات الالمانية التي حاولت أن تهرب تحت وطأة الرصاص، احتوى الأعداء بستار من الاشجار، فجأة توقف ضرب النار، اعتقد الجنود أن الفرنسيين قد هدوا وأرجعوا ذلك إلى نقص المؤمن، وراحوا يسخرون من هؤلاء الجنود غير النظاميين الضعفاء الذين يعانون سوء التغذية.

ولكن لم تستمر هذه اللحظة طويلاً؛ لأنها هي جماعة المقاومين تظهر خلفهم، يقودها "جينساك". اشتباك الرجال، كانت معركة بالسلاح الأبيض، إنها معركة قاسية وبدون رحمة تخللها السباب، كانت هذه المعركة واحدة من حركات المقاومة الكبرى التي ساعدت على الحصول على الحرية.

أما جنود الأعداء الذين حاولوا الهرب فسقطوا في أيدي القناصة، لا مجال لتسليمهم، كانوا يذبحون أو يضربون بالرصاص، وبعد قليل غولت تلك المجموعة العسكرية إلى مجموعة جئت.

اجتمعت مجموعة "جينساك" والكولونييل" وتم نقل الجرحى على معدات جهزت لنقلهم بدون ألم أو تعب.

بينما كان "الكولونييل" و"جينساك" يتحدون بعيداً عن رجالهما، توجهت فرقة عسكرية بروسية نحو موقع المعركة بعد أن أخبرها أحد

وزوجها.
كانت هذه الرسالة مصدر فرحة كبيرة لـ "لوسي". سعادتها بزواجهما لم تمح المحن الذي شعرت به لما سببته لأهلهما من جرح.
قابل قصر "فرساي" عنف الباريسين بالقوة، وانهزم الحزب الشيوعي، ومن خلال منزله نظر "جينساك" إلى الشوارع وهمس:
- هذه هي صدمة الجمهورية!
عندما عاد النظام جاء "جاكومو" الذي كان يناضل في صفوف "جاريالدي" ليزور الكونت. أبلغ سبده وصديقه أن الضابط "موراتي" وقع في أسر الشيوعيين.

ثم أضاف:

- منزلك في شارع "سان أونوري" لم يصب بأذى و تستطيع أن تعود إليه عندما تريد. هل تعرف أن المطعم لم يكف عن العمل أثناء الغزو أيضا؟ كنت أقدم الفuran اللذيذة.
امتعضت "لوسي". التفت "جينساك" نحو "الكولونيل":
- إيه! إن الحرية ليست سوى طريق على الإنسان أن يسلكه ولا يجب أن يتوقف أبدا.

عادت "لوسي" مع "فيليب" إلى "باريس" في نفس الوقت الذي استعاد فيه ممتلكاته، أعاد فتح بيته. في اليوم التالي لعودته اتصل مدير شركة تأمين "اللويدز".
- سيدتي إن العقد الزمرد في حوزتي وأرغب في أن أدفع لكم المبلغ الذي أخذته بالإضافة إلى الأرباح.
اعترف الجميع بأن الكونت "دي جينساك" رجل شريف. تداولت الصالونات قصة العقد من جديد. بعض الضمائر المنحرفة ذهبت إلى أن العقد لا وجود له من الأصل. ولكن أصحاب القصة الأصليين لم يتحدثوا في هذا الشأن.
صرف "فيليب" الكثير من الجهد والمال في خدمة بلاده، أما

تركه مالكه عندما غادر عند غزو الالمان. سيدتان نقومان بدور المرضة. السيدة "دي جينساك" واحدىراهبات ويساعدهما آخر له علم في الجراحة.
عندما ظهر "الكولونيل" يحمل على كتفيه "جينساك" شاحبا تماماً قالت الراهبة التي لا تعرف الصلة بين الجريح ورفيقها:
- إنه شاحد جداً وهذه علامة الموت.
لم يكشف وجه "لوسي" دي جينساك عن أي رد فعل.
قالت ببساطة:
- علي أنا الاهتمام به.

مدت ذراعيها ورفقت أي مساعدة، أمسكت زوجها في رفق كانها أم تعنتى بطفلها، وفي حنان وضعته على مرتبة نظيفة. تساعدها الراهبة. خلصته من ملابسه ونظفت جروحه من الدم. مال الجراح نحو الكونت ليفحص جروحه وعقد جبينه.

- ارفعوه إلى الطاولة.
نقلت السيدتان الكونت إلى طاولة المطبخ التي تستخدم في العمليات وبعد تخديره بدأ الجراح العملية دون انتظار.

ماتت الإمبراطورية ورفع الالمان العرش. لكن أمام تهديد الملكية الأخرى من "بوردو"، تمرد الحرس الوطني وانخذلت البلدية "باريس" مقراً لها مع شعارها وعلمها الأحمر.
 شيئاً فشيئاً تحسنت حالة الكونت "دي جينساك"، نقله "الكولونيل" إلى "سان كلود" إلى منزل أحد الأصدقاء. من خلال توافذه استطاع الكونت وزوجته أن يتماماً مدربتهما المحبوبة.
في أحد أيام العاصفة، استطاعت "ماري أنجيل" أن تختاز أبواب المدينة، وتذهب إلى المنزل الكبير. قبلت "لوسي" الفتاة في حنان. كانت تحمل لها رسالة من الماركيز والماركيرة "دي سان سيلفستر" اللذين يقولان لا ينتبهما إنهم يصفحان عنها وينتظران زيارتها هي

"لوسي" فمنذ أسابيع تشعر بألم ضئيل يكبر شيئاً فشيئاً حتى ناكدت أنه حقيقة. عندما أعلنت هذا الخبر لـ "فيليپ" لم يخف فرحته. في هذا المساء استقبل "جاكومو" الذي قال:

- لا يمكن أن يتواجد رجل مثلك يا سيد الكون.

ابتسم "فيليپ" وأجاب:

- لست واثقاً بذلك. إذا سالت السيدة "دو جينساك" عما إذا كانت سلالة "دي جينساك" ستندثر فستجيبك: لا.. ليس بعد توردت "لوسي" خجلاً.

بينما صاح الإيطالي:

- كل طفل يولد سيكون مدافعاً عن الجمهورية التي ستولد. مبروك للام المنتظرة! ومبروك لصديقي الوفي! غداً ستكون الحياة جميلة؛ ذلك لأن سلالة "دي جينساك" ستتواصل.

تمَّت بعون الله